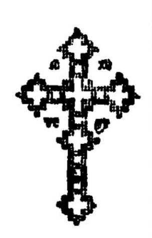
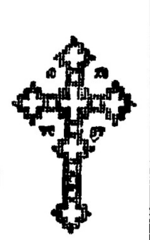


أشـــعياء



الكتاب الخامس

الاصحاحات من ٢٩ - ٣٩



القمص لوقا سيداروس

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة مارجرجس

الاسكندرية

أشعياء

الكتاب الخامس

الاصحاحات من ٢٩ - ٣٩



القمص لوقا سيداروس



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

اشــعياء ٢٩

+نبوة عن خراب أورشليم : ويل لأرئيل

تبدأ كلمات هذا الفصل بنبوات سجلها الوحى الالهى بفم اشعياء النبى عن خراب اورشليم المزمع أن يكون بسبب كثرة التعديات وامتلاء كأس غضب الله من فرط الخطايا الكثيرة .

ومما يلفت النظر أن الوحى يدعو أورشليم باسم (أرئيل) وهو يعنى أسد الله أو موقد الله ، ويدعوها أيضاً قرية (نزل عليها داود) ، وليست مدينة ، تحقيراً لشأنها وتعبيراً عن انحطاطها الروحى فى نظر الله .

فأورشليم فى الأصل كانت تُدعى حصن داود ، مدينة الملك العظيم ، مدينة داود ، مدينة الله ، مسكن الله ، مدينة السلام . ولكنها تحوّلت وتبدلت بفعل الشر الذى ارتكبه الساكنين فيها وعدم الأمانة لله فصارت قرية يناديها الوحى قرية غير محسوبة أنها ذات قيمة أو شأن كمدينة لها تاريخ ، بل صارت محسوبة كأتون نار متقدة بالشر ، وملتهبة بشهوات هذا العالم . كأننا نستطيع أن نكرر قول الوحى أن البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية .

فالحياة فى عون العلى وفى ظل الاله القدير ، يجعل للنفس شأناً أى شأن والانحياز للعالم يجعل النفس حقيرة . حقارة العالم ، فأورشليم داود وسليمان ، وأورشليم يوشيا ، أورشليم المجد والعز والسلطان .

أما أورشليم يهوياكين ، أو أورشليم صدقيا . فأورشليم السبى والمذلة والجوع والسيف والمهانة .

فأورشليم فى حال البر يُقال عنها مثل مدينة متصلة بعضها ببعض فى وحدانية ، والجبال حولها والرب حول شعبه ، هناك صعدت القبائل شهادة للرب واعترافاً لاسمه ، هناك نُصبت كراسى للحق والعدل . أما وقد انحدرت للخطايا وتدنست بالآثام فقد تغيرّ حتى اسمها أمام الرب ، فناداها قائلاً ويل لأرئيل قرية سكن فيها داود ولكنه عبر ونست أورشليم أيام داود ، أيام الملك العظيم المتمسك بالله مرنم اسرائيل الحلو ، وأصبحت مسكناً للأشرار مسكناً للزناة والأثمة والقتلة .

١- زيدوا سنة على سنة ، لتدر الأعياد. ٢- وأنا أضايق أرئيل فيكون نوح وحـــزن وتكون لى كاريئيل . ٣-واحيط بك كالدائرة وأضايق عليك بحصن وأقيم عليك متارس . ٤- فتتضعين وتتكلمين من الأرض وينخفض

قولك من التراب ويكون صوتك كخيال من الأرض ويشقشق قولك من التراب .

من سنة إلى سنة سيضيق الرب الخناق على أورشليم ومن عيد إلى عيد تتحقق أقوال الله ، لا يسقط منها شيء، بل السماوات والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول . مع دوران الأيام وتتابع السنين تتثبت بالأكثر مواعيد الله لمحبيه وحافظى عهده ووصاياه ، ومن جهة أخرى تتحقق كلمات الله ووعده نحو دينونة الخطية ومعاقبة الأشرار ولكن مع طول أناة وصبر كثير لأن الرب بطيء الغضب وكثير الرحمة .

فالأبرار ينتظرون الرب ، كمثل منتظرى الصبح ، بلا شك ولا ريبة ، مثل ابراهيم أب الآباء الذى آمن بالله فحسب له إيمانه براً وحسب أن الذى وعد هو صادق ، ومثل حنة أم صموئيل التى قال الرب بفم عالى الكاهن فى مثل هذا اليوم تحتضنين إبناً . فلما دار الزمن دورته كان تحقيق كلام الله حسب وعده الصادق . أما الأشرار فيفتكرون عكس ذلك ويقولون أين هو موعد مجيئه ؟ لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا منذ الخليقة ، وهذا ما يقوله الرسول معلمنا بطرس أنه يخفى عليهم بارادتهم ... أى أنهم يحجزون عن أنفسهم معرفة الحق

حتى لا يصدقوا مواعيد الله التى ستتم فى حينها .

ولكن لا يخفى هذا الشىء الواحد أن يوماً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد ، وأن الرب لايتباطأ عن وعده ، بل يتأنى لعله يعطى فرصة للتوبة ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب ، يوم دينونة الخطية ، يفاجىء الأشرار كالمخاض للحبلى فلا ينجون .

+ولكن لننتبه جداً أن عقاب أورشليم يختلف عن عقاب الأمم فهو يضرب للتأديب ، يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان هو يريد بها خلاصاً ، يريد أن يرجعها عن طرق الموت .

فحين يعاقبها يقول أنه يحيط بها يحاصرها ، ويضيق عليها ،حتى تتضع وتتكلم من الأرض وينخفض قولها من التراب ... هذا هو قصد الله ، ليس القصد هو الألم والمعاناة فى ذاتها وليس العقاب لمجرد عقاب ، ولكنه طريق للتوبة وطريق للإتضاع ... وعندما تقول لصقت بالتراب نفسى ، وتعرف ذاتها وتتنازل عن كبريائها يعود فيحييها ويقيمها من التراب ويرفعها كالبائس من المزبلة **ويجعل العاقر ساكنة فى بيت أم أولاد فرحة .**

٥- ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاه كالعصافة المارة . ويكون ذلك فى لحظة بغتة .

٦- من قبل رب الجنود تفتقد برعدٍ وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة .

٧- ويكون كحلم كرؤيا الليل جمهور كل الأمم المتجندين على أريئيل كل المتجندين عليها وعلى قلاعها والذين يضايقونها .

٨- ويكون كما يحلم الجائع أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ وإذا هو رازح ونفسه مشتهية . هكذا يكون جمهور كل الأمم المتجندين على جبل صهيون .

+ سيأتي العقاب فجأة في أي لحظة وهي غارقة في دوامة الاهتمامات العالمية ومأخوذة بشباك الخطايا . حقاً ما أخطر السكر بهموم هذا العالم ، وخمر اللذات ، حين يداهم الخطر الانسان في ساعة لا يعرفها . كاللص في الليل هكذا يجيء . لذلك كانت وصايا الرب دائماً ، اسهروا، اصحوا لكي تحسبوا أهلاً للنجاة ، ولا يفاجئكم ذلك اليوم بغتة أما أورشليم في تلك الأيام فكأنها قد اصطيدت في فخ ، فصارت معصوبة العين عن التطلع إلى ما هو آت بل قد أخفي عن عينيها ولم تعرف زمان افتقادها. كان أشعياء النبي يتكلم عن خراب أورشليم

المزمع أن يكون الذى حدث وتحقق بعد ذلك فى أيام سبى نبوخذنصر ، وأيام داريوس وهذا يطابق أيضاً العقاب الذى كابدته أورشليم مرة أخرى فى سنة ٧٠ م بعد أن حاصرها القائد الرومانى تيطس وهدمها وقلع حجارتها وكملت نبوة الرب من نحوها حين قال يهدمونك وبنيك فيك ولايتركون حجراً على حجر . فكان أن أعمل القائد الرومانى المحاريث فى أساسات أورشليم حتى لم يبق حجر على حجر.

على هذا نرى أنه على قدر ما تكرر جنوح أورشليم وبعدها تكررت مأساة العقاب وحل بها غضب الديئونة العادل متكرراً . وإن اخذ أشكال كثيرة ولكن ظل الهدف واضحاً من وراء كل عقاب .

+يصف الوحى الجمهور المتجند على أورشليم (كالغبار الدقيق وكالعصافة المارة) وهذا معناه أنه كما لا يستطيع الانسان أن يميز أو يعد ذرات الغبار من الكثرة هكذا يكون عدد الجيوش التى تحيط بأورشليم كما مثل الله فى القديم كثرة النسل لإبراهيم قائلا كمثل نجوم السماء والرمل الذى على شاطىء البحر ، هكذا تكون كثرة الغزاة .

ولكنها سحابة غبار يعمى العين ويفسد التنفس ويعكر الصفو .

+ سيفتقد الله ذنوب أورشليم برعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة .

مخوف هو الوقوع في يدى الله الحى ، هذه الأشياء المخيفة للإنسان جداً هى فى الواقع استعلان حضور الله الذى لايطيق الأشرار الوجود فى حضرته ويكونون كما يرتاع الإنسان من هذه القوى الطبيعية الخارقة والمخيفة . وكما يخشى الإنسان من الوقوع فجأة تحت وطأة الخوف هكذا يكون فى دينونة الخطاة زمنياً وأبدياً أيضاً . إذ يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش .

وكما يستيقظ الإنسان على هذه الأصوات كما من غفلة هكذا يكون عندما يواجه الإنسان ساعة الدينونة الرهيبة . الذين لم يستيقظوا على كلمات التوبة والاستعطاف ، الذين لم يميلوا آذانهم للصوت الرقيق وقسّوا قلوبهم وسدوا آذانهم وصرفوا مسامعهم عن الحق، سيفاجئهم صوت الرعود والزلزلة وصوت زوابع وعواصف ولهيب نار آكلة .

٨- من جهه أخرى قد تُفهم كلمات الوحى الالهى من جهة الجمهور المتجند على أورشليم «يصير جمهور أعدائك كالغبار الرقيق وجمهور العتاة كالعصافة المارة»، إنه إذ تتضع أورشليم أمام الله وتتكلم من الأرض وينخفض قولها من التراب ولسان حالها يقول لصقت بالتراب نفسي فاحيني ككلمتك ... في هذه الحالة يغار الرب لشعبه ويرق لميراثه ويضرب أعداء مدينته المحبوبة والمتجندين عليها للخراب ، ويجعلهم كالعصافة فى وجه الريح وكالغبار الرقيق ، فى لحظة من الزمان ، فينحسر عنها فيضان الغضب وتنفك من حصارها ويصير هذا الأمر بالنسبة لها خلاصاً من قبل الرب .

وفى نفس الوقت يصير هذا الأمر بالنسبة لجيوش الأعداء كحلم الليل ، بعد أن كانوا قد اجتمعوا حول أورشليم ليفترسوها ويشبعوا من غنائمها ، استيقظوا وإذا هم جثث ، تبددت أحلامهم وتبخرت أمنياتهم كأحلام الليل ، فلم ينالوا شيئاً .

وقد حدث هذا فعلاً حينما أرسل سنحاريب ملك آشور جيوشاً حوطت أورشليم وتكلم ربشاقى رئيس جيشه بكلام تجاديف ، فلما اتضع حزقيا الملك أمام الله بالصلاة والبكاء وأرسل رسلاً إلى أشعياء النبى ليصلى عنه ،

أرسل الرب ملاكه وقتل ١٨٥ ألفاً من جيش ملك آشور في ليلة واحدة ، وخلص الرب شعبه وحامى عن مدينته .

كحلم الليل : هكذا يكون الجمهور المتجند على أورشليم لخرابها ولدينونة الخطية فيها ، بالنسبة لسكان أورشليم ، يكون الخلاص من العقاب كأحلام الليل التى يستيقظ النائم منها وإذا هى خيال لا يشبع من جوع ولا يروى من ظمأ .

هيهات تكون محاولات النجاة . وكالأحلام والخيالات تصير أمنيات الافلات من العقاب . وهذه الأمنيات الكاذبة يشجعها الشيطان حتى لا يفيق الانسان من غفلته ويلتفت إلى طريق خلاصه .

ويعود الوحى يصف حال رجال يهوذا وأورشليم أنهم صاروا كمن يترنح من الخمر الغائب عن الوعى فيقول:

٩- توانوا وابهتوا تلذذوا واعموا . قد سكروا وليس من الخمر ترنحوا وليس من المسكر .

الخمر الذى شربوه والمسكر الذى سكروا به ليس خمراً مادية . ولكن الخمر الذى حذر منه الرب يسوع قائلا **تحرزوا من الشبع والسكر من خمار هذا العالم ...** إذن الخمر هى خمر هذا العالم الزائل تخمة الطمع وحب

الاقـتنـاء والاكـتـناز وتـأمين الذات وغـرور الـغنى ثـم التـلذذ بشــهـوات سائـر الأشيـاء التـى فى العـالـم التى عـبّر عنهـا الرسول قائلا إن **كل ما فى العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعـظم المعيشة هذه ليست مـن الآب بل من العـالم والعالم يمضى وشهوته معه .**

١٠- لأن الـرب سـكـب علـيـكـم روح سـبـات وأغـمـض عيونكم . الأنبيـاء ورؤساؤكم الناظرون غطاهم .

١١- وصـارت لـكم رؤيـا الكل مـثل كلام السـفر المخـتوم الذى يدفـعونه لـعارف الكـتابة قائلين إقرأ هـذا فيـقول لا أستطيـع لأنه مختوم .

١٢- أو يدفـع الكتاب لمن لا يعرف الـكـتابة ويقال له إقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة . هـذا ما صـارت إليه أورشـليـم ، بكل مـن فيـهـا من مـلوك وأنبـيـاء وكـهـنة إذ سـكـروا بـخمـر العالم وترنـحوا فى أركان العـالـم وشـهـواته ، صـاروا كالنيام، أغـمـض الـرب عـيـونـهم ، وأوقـع علـيـهـم سـبـاتاً فـى الفـكـر والعـقل ، والمـعـرفة مـن ناحـية أحـكام اللـه وأعـمالـه ، ومن ناحـيـة تمييـز الأزمنة والأوقـات ومن نـاحيـة فـهـم الـقصـد الالـهى ... حتى صـارت أمامـهم الكلمـة مكـتوبة ومنطوقة بفـم الأنبياء ولكنها بالنسبة لهم صارت مثل الألغاز والطلاسم،

وهذا التشبيه الذى أورده اشعياء النبى ، تشبيه عجيب فهم مثل من يعطونه كتاب مختوم فلا يستطيع أن يقرأ مابداخله أو كمن لا يعرف الكتابة فلا يستطيع أن يقرأ .

اعتبار : ألم يصر الكتاب المقدس هكذا بالنسبة لكثيرين منا ... كالسفر المختوم . حتى أن الكثيرين يصرخون بأنهم لا يفهمون شيئاً إذا ما قرأوه أو سمعوه ألا يعتذر الكثيرون عن مشاركة الكنيسة وممارسة الأسرار بأنهم لا يفهمون ما يدور داخل الكنيسة ، أو ما يُقال أو ما يُصلى به . لقد صار الكثيرون منا لا يعرفون لغة الصلاة ، أو لغة التخاطب مع الله ، أو لغة التأمل ، أو لغة الوعود الالهية ، وما هو مدوّن فى الأسفار ، أو لغة الانذارات ، أو لغة النبوات ، أو لغة الرجاء السماوى ... فصاروا كأعجميين ، أو كغرباء ، أو كجهلاء ، فإن دفعت اليهم سفر الحياة ، يتعذر عليهم أن يقرأوا لأن الذهن الداخلى قد أظلم ، وانطفأ نور العينين ، وصار فى سبات عميق بسبب التخمة التى أصابته من كثرة ما شبع من أباطيل العالم .

١٣- فقال السيد لأن هذا الشعب اقترب الىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة .

١٤ – لذلك هأنذا أعود اصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه .

لماذا صار هذا الشعب يكابد مثل هذه الضيقات ويجوز فى أقسى الظروف ويعانى من عدم الرضى ، بل ويستحق العقاب والتخلى ؟

الجواب على هذا السؤال ، توضحه كلمات الوحى الالهى ، **لأن هذا الشعب اقترب الىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه** . السبب إذن هو مظهرية العبادة .

لم يكف الشعب عن العبادة ، بل على العكس كانوا بروح فريسية يدققون فى كل شيء ، الأصوام فى حينها ، الذبائح والأعياد والاحتفالات ، والمواسم ... كل هذا جرى على أكمل وجه بتدقيق شديد، ولكن بحسب الظاهر فقط.

لقد مارسوا كل هذا كطقس بلا روح ، بلا عاطفة ، بلا صلة بالله ، صلوا ولكن باللسان فقط ، صاموا ولكن أصوامهم كانت مجرد امتناع عن الأكل ، أعطوا لكى ينظرهم الناس . قدموا العشور والبكور والنذور كواجب وفرض .

أما قلبه فابعده عنى:

هذا هو لب الموضوع ... الله لايريد سوى هذا القلب

الذى نحب به ذوينا ، ليتحرك نحوه ، ليصير له ، ليأتى ويسكن فيه . **يا إبنى أعطنى قلبك** ... هكذا طلب الرب بفم الحكيم .

ولكن الى أين أبعد الشعب قلبه ؟

إلى العالم ، إلى الشهوات والنجاسات ، لقد أعطى قلبه لآخر ... هذه خيانة !!.

وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة .

لقد صارت العلاقة التى تربطهم بالسيد الرب ، هى مجرد الخوف ، خوف من العقاب ، وخوف من الوصايا ، وخوف من الله ذاته وخوف من كل ما يمت له بصله ولكن كيف وصلوا إلى هذا الوضع ... هل الوصايا الالهية تنشىء مثل هذا الخوف ؟

الواقع أنهم انحرفوا بالتعليم ، وحادوا عن جادة الصواب ، لأن شيوخهم وقادتهم ، انشغلوا جدا بالحرف ، والحرف يقتل وأهملوا الروح ، **وأما الروح فيبنى.**

اكثروا التخريجات والتأويلات ، وأفنوا حياتهم فى مناظرات الكلام فيما يخص العبادة ، ولكن روح العبادة كان قد تسرب من حياتهم . اسمعهم ماذا يقولون ...

+ من يحلف بالهيكل فليس بشيء ومن يحلف بذهب الهيكل صار عليه ...

+ من قال لأبيه أو أمه قرباناً هو الذى تنتفعه منى . فلا يكرم أباه أو أمه ... لذلك قال لهم الرب يسوع قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ، يا مراءون حسنا تنبأ عنكم أشعياء قائلا : يقترب الىَّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس (مت ١٥) .

وعندما انحصروا فى الحرف ، ضاق القلب والعقل معاً. لذلك قال الرب هأنذا أعود اصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً ، فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه .

هذه نتيجة تلقائية ، لمظهرية العبادة والتمسك بالحرف ، والتبعية العمياء لتعاليم الناس ، ووصايا الناس، هذا يخلق انساناً متعصباً أى معصوب العينين ، لا يستطيع أن يرى الحق لذلك كم من مرة خاطب الرب جماعة الفريسيين ، قائلا ، ويل لكم أيها القادة العميان ... أيها الفريسى الأعمى ... فاهتمام الفريسى بالمظهر ، وبتنظيف خارج الكأس والصحفة جعل الداخل مهملاً ، بل صار الداخل مملوءاً بكل نجاسة ...

وهكذا تكون قد فارقته الحكمة والفهم ، لأن الحكمة تقول نقِ أولاً داخل الكأس حينئذٍ يتطهر خارجها .

١٥- ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا .

١٦- يا لتحريفكم ، هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم .

كان رؤساء الشعب يفكرون فى الالتجاء إلى مصر للمعونة ، وبدلاً من أن يكشفوا أفكارهم أمام الله وبدلاً من أن يسألوا الأنبياء والملهمين ارشاداً ، أيما هو الطريق الصالح حتى يسلكوا فيه ، خطر ببالهم أن يخفوا هذا الأمر عن الله ويتكتموه . وافتكروا أن هذا يخفى على فاحص القلوب ، وعارف الخفايا والمستورات .

فما هى أعماق الإنســـان ، وهل تختفى عن جابله ومصوره ؟

إن كل شىء مكشوف وعريان قدامه .. ألم يرسل الله أنبياءه ليظهر الخطايا المستترة ، مثلما فعل مع داود حين

أخذ بتشبع وقتل أوريا الحثى ظاناً أن الأمر مخفى ولا يعرفه أحد ؟ الم يرسل إيليا إلى آخاب ليكشف أمر نابوت اليزرعيلى الذى قتله آخاب بمشورة ايزابيل ليرث الأرض ؟

وهذه مجرد أمثلة لا يمكن حصر مثيلاتها وكلها تؤكد أن عيناه تخترقان استار الظلام ، أما أنهم يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ، فقد أصابهم الويل ، ولابتعادهم المتعمد عن النور صارت أعمالهم فى الظلمة كنتيجة حتمية. لأن الذين لا يحبون الحق ويسرون به يرسل الله إليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب . والذين لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق ، ومبغضو النور يدركهم الظلام ، والذين كانت أعمالهم شريرة . أحبوا الظلمة أكثر من النور ولم يقبلوا إلى النور لئلا توبخ أعمالهم كونها شريرة .

فى هذا يخدع الإنسان نفسه بسلوكه فى الظلمة والخضوع لروح الظلمة ظاناً أنه يختفى من وجه الرب **« يقولون من يبصرنا »** .

١٧-أليس فى مدة يسيرة جداً يتحول لبنان بستاناً والبستان يحسب وعراً .

١٨- ويسمع فى ذلك اليوم الصم أقوال السفر وتنظر من القتام والظلمة عيون العمى .

١٩- ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل .

إذا صار حال رؤساء الشعب إلى ما انتهوا إليه فى تعمقهم فى الشر وسلوكهم فى الظلمة وبغضة النور ، فهل من خلاص ؟

نعم فإنه حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً ، لكى تظهر الخطية أنها خاطئة جداً ولكى تتمجد النعمة فى إحسانها .

حقاً هل قصرت يد الرب عن الخلاص ؟ حاشا .. ففى مدة يسيرة جداً يظهر خلاص الرب ... وكلمة مدة يسيرة تعبّر عن فكر الله نحونا ... فالإنسان فى انتظاره يبدو دائماً قلقاً متعجلاً ، يستكثر الزمن ويطول به جداً . بينما فى نظر الله ، اليوم كألف سنة وألف سنة كيوم واحد إذ

هو غير الزمنىّ ... فما هو عتيد أن يفعله يراه حاضراً فيه فيعزى الإنسان بقولهِ فى مدة يسيرة جداً .

وما أجمل الرجاء بالرب ، لأنه لا يخجل منتظروه فهو وإن تأنى يستجيب ، **وهو لا يبطيء في قدومه كما يظن قوم التباطؤ.**

وهو آتٍ للخلاص حتى ولو فى الهزيع الرابع ، **فتشدد وتقوَ وانتظر الرب .**

أما ملامح الخلاص الذى يصنعه الرب فهو التغير الجذرى غير المتوقع من الناس يتحوّل لبنان بستاناً والبستان يحسب وعراً .

الرب يميت ويحيى يحدر إلى الهاوية ويصعد .

يرفع البائس من المزبلة ، ويحط كبرياء المتكبر ومن يسلك بالكبرياء يذله . **أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين .**

أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين وهذه تعبيرات القديسة مريم والدة الإله التى تهللت بعمل الخلاص وأدركت ما لم يدركه إنسان على الأرض من جهة حب الله لنا **إذ صار الكلمة جسداً فى بطنها .**

.ومن ملامح الخلاص وزمن المسيح أن الصم يسمعون ، والعمى يبصرون ، والمساكين يبشرون. وهذه معانى عميقة للخلاص لا على مستوى الجسد ، لأن اشعياء تنبأ أن أذان الصم تسمع أقوال السفر أى كلمة الله ، فهذا ليس معجزة تفتيح أذان الجسد بل ختان الأذن الداخلية ختان القلب بالروح ، لأنهم كانوا قبل المسيح لهم آذان ولا يسمعون ولهم عيون ولا يبصرون .

أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع ... هذا تطويب الرب لنا نحن الذين صرنا فى نعمة المسيح متمتعين بخلاصه .

أما أن هذه الملامح الإيجابية للخلاص تظهر واضحة جلية فهذا معناه أن القوى السالبية أى قوى الظلمة والشر قد انكسرت وسحقها المسيح **«رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق»** وهذا ما يؤكده أشعياء النبى قائلا :

٢٠ - لأن العاتى قد باد وفنى المستهزىء وإنقطع كل الساهرين على الاثم .

٢١ - الذين جعلوا الإنسان يخطىء بكلمة ونصبوا فخاً للمنصف فى الباب وصدوا البار بالبطل .

قال الرب متى تحصن القوى يحفظ داره فى أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه ينزع سلاحه المتكل عليه ويوزع غنائمه .

فالرب إذ سحق الشيطان وداس شوكة الموت ، أنقذ عبيده من سلطان روح الظلمة وفك الأسرى ، فانفتحت آذان الصم ونظرت من القتام والظلمة عيون العمى .

فشكراً لله على نعمته التى لا يعبّر عنها .

٢٢- لذلك هكذا يقول لبيت يعقوب الرب الذى فدى إبراهيم ليس الآن يخجل يعقوب وليس الآن يصفارّ وجهه.

٢٣- بل عند رؤية أولاده عمل يدى فى وسطه يقدسون إسمى ويقدسون قدوس يعقوب ويرهبون إله إسرائيل .

٢٤- ويعرف الضالو الأرواح فهماً ويتعلم المتمردون تعليماً.

وعد الخلاص أعطاه الرب لإبراهيم . « **فى نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض** » أى فى المسيح المبارك المولود من نسل إبراهيم بحسب الجسد .

فالمتكلم ليعقوب هنا هو الرب الذى فدى إبراهيم بالوعد والقسم .

« أقسمت بذاتى إنى بالبركة أباركك وبالكثرة أكثر نسلك » .

وعندما كمل الرب الخلاص وحقق وعده بتجسده من العذراء القديسة قالت فى تسبيحها **« عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة كما كلم أباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد لو ١ : ٥٥ .**

وزكريا الكاهن إذ إمتلأ من الروح القدس تنبأ قائلاً **« ليصنع رحمة مع أبائنا ويذكر عهده المقدس . القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا » : لو ١ : ٧٢ ، ٧٣ .**

فالذين تمتعوا بالخلاص تحققوا كمال المواعيد الالهية هذه التى كان الأقدمون ينظرونها من بعيد ويحيوها ويقروا أنهم غرباء ونزلاء كما قال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين . وفى بشرى تكميل الخلاص يقول فادى إبراهيم أنه ينتهى الخجل واصفرار الوجه عن يعقوب إذ ينزع الرب عار الخطية ويستر عرى الإنسان بصليبه . فإبراهيم حينما تكلم مع الله قال شرعت أن

أكلم المولى وأنا تراب ورماد . وخلاص المسيح أقام المسكين من التراب .

وآدم لما سقط فى المخالفة ، تعرى واعتراه الخجل .

وخلاص المسيح ستر عرى آدم ورده إلى نعمة البنوة حيث لا خجل ولا خوف ولا اصفرار للوجه بل دالة وجسارة وقدوم . هذا الذى صار لنا فى المسيح وبالمسيح .

وأولاد الخلاص ، أولاد إسرائيل الجديد هم « عمل يدىَّ » وليسوا أولاد الجسد ، **لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان** « رو ٢ : ٢٨ ، ٢٩ .

أما عمل هؤلاء الأولاد ، الخليقة الجديدة ، عمل يدى الله وصنعته التى يصنعها جديداً ... عملهم الرئيسى هو التقديس ومخافة الله .

ويقدسون اسمى .

ويقدسون قدوس يعقوب .

ويرهبون اله إسرائيل .

العهد الأول اختص بالجسد ، ودم الذبائح التى تؤدى إلى طهارة الجسد فقط .

أما العهد الجديد بدم المسيح بروحه الأزلى يطهر الضمائر ويقدس الدواخل ويقدس إلى الأبد .

ثم يختتم أشعياء نبوءته فى هذا الإصحاح بإعلان روح الفهم والمعرفة والتعليم والاستنارة التى يكون فيها أبناء الخلاص قائلاً :

٢٤- ويعرف الضالو الأرواح فهماً ، ويتعلم المتمردون تعليماً.

فالضالين وجدوا يسوع المسيح الطريق الحقيقى ، وقالوا قد وجدنا الذى كتب عنه موسى والأنبياء ، وهذا هو الزمن الذى تكلمت عنه الأنبياء ، حين لا يعلم كل واحد أخاه وكل واحد إبن مدينته قائلا أعرف الرب لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم ويكون الجميع متعلمين من الله .

هذا هو الروح الذى سكبه الرب سكيباً على بنى البشر روح الحكمة والمعرفة روح الفهم والمشورة .



اشعياء ٣٠

١- ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى أنهم يجرون رأياً وليس منى ، ويسكبون سكيباً وليس بروحى ليزيدوا خطية على خطية .

٢- الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمى ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر .

٣- فيصير لكم حصن فرعون خجلاً والاحتماء بظل مصر خزياً .

عندما سمع رؤساء إسرائيل ويهوذا بأخبار ملك أشور أنه سيفتح البلاد ويخضعها ، يحاصر ويهدم حصوناً ويقتل شعوباً ، وأنه يتقدم نحو إسرائيل وبلاد يهوذا ... إعتراهم خوف عظيم وبدأوا يفكرون فى طريق للخلاص . وهداهم الفكر إلى الألتجاء إلى مصر لطلب المعونة والاحتماء بمصر ... وهذا الفكر فى حد ذاته يعتبر حركة ارتداد إلى وراء ...

من جهة فهو يشير إلى عدم الإيمان فى الله ، وعدم الثقة فى قدرته على الخلاص . ومن جهة أخرى فهو ارتماء فى حضن العالم ، فهم بدل أن يلتجئوا إلى الله بالصوم والصلاة ، ابتعدوا عنه متعمدين والتفتوا إلى مخلص آخر ، وهل ذراع البشر يخلص ؟

لذلك يصفهم الوحي قائلا « ويل للبنين المتمردين » .

أين هو رب الجنود الذى حارب عنهم فى القديم ؟

أين إيمانهم بالذى شق البحر الأحمر وكسر بكرات فرعون ؟

قد يبدو الأمر لرؤساء الشعب ، أن الالتجاء لمصر هو مجرد تكتيك سياسى لا غبار عليه أو تدبير حربى تستلزمه الظروف ، إن هذا الأمر قد يكون مقبولاً ومعقولاً لدى أى شعب من شعوب الدنيا . أما بالنسبة لشعب الله فالحال يختلف تماماً ، « فهذا الشعب جبلته لنفسى » وهو دائماً يقول شعبى ، وبنى ، وأولادى ... وقد خصهم بالمواعيد والعهود والاشتراع ... وهو المسئول والمدافع والحامى والمخلص لأنهم ميراثه .

ليس لأنهم أفضل الشعوب بل هو اختارهم وميزهم توطئة لظهوره فى الجسد الذى به احتوى كل شعوب وأمم وألسنة .

لهذا يصرخ أشعياء بالويل لهؤلاء البنين المتمردين ... يجرون الرأى والمشورة وليس من الله ، لا سألوا نبياً ولا استشاروا كاهناً ، ولا طلبوا رأى الرب ...

ويسكبون سكيباً ، ولكن ليس بالروح ... بل مظهر وشكل وعادة لكى يطبعوا تصرفهم بطابع الشريعة ...

لقد كانت عادة الآباء أن يسألوا كلمة من فم الرب ، قبل أن يجروا الرأى وكانوا يبحثون عن النبى والكاهن يستنهمون منه رأى ومشورة الرب . أما هؤلاء فإنهم يجرون رأى أنفسهم ويصنعون إرادتهم الذاتية وهذا من الخطأ الجسيم .

أما أنهم ينزلون إلى مصر ليلتجئوا ويحتموا بذراع البشر فهذه خيانة كخطية العرافة بل وأسوأ منها .

أليس هو الحصن والملتجأ ؟

اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع .

الاتكال على الرب خير من الاتكال على بنى البشر .

لأنك صرت حصناً للمسكين ، حصناً للبائس .

خلاص الأبرار من عند الرب وهو ناصرهم فى زمن الشدائد .

ان مسلكهم صار مثل يهوشافاط ملك يهوذا الذى قال لملك إسرائيل مثلى مثلك وشعبى كشعبك وتسرع فى الدخول فى حلف مع الشيطان ثم بعد ذلك عاد ليسأل الا يوجد هنا نبى للرب لنسأله ؟ ٢ أى ١٨ .

إن هذا هو حال الكثيرين اليوم ... يدبرون تدابيرهم العالمية ويعقدون صفقاتهم ويتممون مشيئاتهم ثم يريدون ان يضيفوا على كل هذا مسحة من الروحانيات ليريحوا ضمائرهم ولكن الوحى يقول صريحاً أنهم يسكبون سكيباً وليس بروحى .

كذبيحة شاول الملك الذى قدمها خلافاً للناموس ليوهم الشعب أن الله معه ولكن كان روح الرب قد فارقه .

إسأل أولا قبل أن تخطو ، اطلب مشورة قبل أن تتحرك قدم مشيئة الله أولا حتى ولو كانت على غير هواك وقل لتكن مشيئتك لا مشيئتى . واحذر أن توهم نفسك بأن الله سيوافق على الأمور التى هى ضد طبيعته القدوسة أو خلافاً لوصاياه وأوامره .

على أن الدرس النافع الذى يجب أن لا يغيب عن ذهننا هو أن الهنا وحده هو الملجأ والحصن والمتكل وهو يحارب ويحامى عن شعبه وليس سواه . وأن النزول والالتجاء وطلب الاحتماء بمصر فيندرج تحت اللعنة لأنه **ملعون من يتكل على ذراع البشر .**

٤- لأن رؤساءه صاروا فى صوعن وبلغ رسله إلى حانيس .

٥- قد خجل الجميع من شعب لا ينفعهم ليس للمعونة ولا للمنفعة بل للخجل وللخزى .

لقد انتظر الرب طويلاً على رؤساء الشعب وهم فى بداية أفكار النزول إلى مصر للاحتماء بها ... لعلهم يراجعون نفوسهم أو يرجعون عن رأيهم لعلهم يلتفتون إلى صخر الدهور الرب الههم ... وهكذا يبدو دائماً أن ربنا طويل الروح وطويل الأناة .

لم تكن خطة الرؤساء أو تفكيرهم مخفياً عن الله ... حاشا ، فكل شيء مكشوف وعريان أمامه ، وعيناه تخترقان أستار الظلام .

والآن يترجمون الفكر إلى فعل ، ويتقدمون خطوات عملية فى الشر . لقد ذهبوا فعلاً إلى مصر ووصل الوفد من الرؤساء إلى المدن صوعن وحانيس ... ولكن الروح يكشف عن عدم المنفعة وعدم المعونة والخجل الذى أصابهم . يا للخزى الذى يعترى الإنسان الطالب الاتكال على ذراع البشر .

٦- وحى من جهة بهائم الجنوب فى أرض شدة وضيقة منها اللبؤة والأسد الأفعى والثعبان السام الطيار يحملون على أكتاف الحمير ثروتهم وعلى أسنمة الجمال كنوزهم إلى شعب لا ينفع .

٧- فإن مصر تعين باطلاً وعبثاً لذلك دعوتها رهب الجلوس . فماذا ستكون مصر بالنسبة لشعب الله ، وماذا يكون انحياز أولاد الله للإحتماء بظل العالم ؟ هل فعلاً معونة وحماية ؟

هذه مأساة ذاق ثمرتها المرة كل من ضاق به العيش فى حضن الآب وطلب أن يخرج إلى خارج مثل الإبن الضال ... حتى اشتهى أن يأكل خرنوب الخنازير واعتاز إلى كل شيء ... هكذا يكشف الوحى مستورات الأمور ، فستكون مصر التى وضعوا رجاءهم عليها بالنسبة لهم : لبؤة وأسد وأفعى وثعبان سام طيار .

وهذه كلها كناية عن الشيطان نفسه .

فهو يجول كأسد زائر ملتمساً أن يبتلع واحداً كما وصفه بطرس الرسول . وهو الحية القديمة المتحوية التى ترصد عقب الإنسان اينما كان . وقد وصف الأشرار بأن سم الأفاعى تحت لسانهم وحنجرتهم قبر مفتوح .

كم من مرة ظهر أنه فى الالتجاء إلى العالم توجد فوائد ومعونات وتسهيل للطرق ومكاسب تعود على النفس ، ولكن العالم يخفى تحت ستار المعونة والمصلحة - يخفى حقيقته بالنسبة لأولاد الله أنه يبتلع ويلدغ ويميت ويفنى ...

إن الشيطان يستطيع أن يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور يقدم معونة وكلام طيب ووعود براقة إلى أن تقع النفس فى براثن الشر حينئذ تنكشف طبيعته ... إنه كذاب وأبو الكذاب .

رهب الجلوس :

إن الوحى هنا يدعو مصر رهب الجلوس إذ أنها تعين باطلاً ، والكلمة معناها كبرياء العاصفة ، فهى وإن كانت قوة ولكنها كالريح، كالزوبعة تذهب ولا يكون لها أثر ، وهى فى نظر الرب كنفخة كمثل ما قال الرب عن الإنسان **كفوا عن الإنسان الذى فى أنفه نسمة لأنه ماذا يحسب ؟**

وكما نبه إلى ذلك الرسول يعقوب بقوله **ما هى حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل** . هكذا كشف الرب أمر مصر لعل رؤساء شعبه يتعظون ويعلمون أن التراب لا يعين تراباً .

٨- تعال الآن اكتب هذا عندهم على لوح وارسمه فى سفر ليكون لزمن آتٍ للأبد إلى الدهور .

٩- لأنه شعب متمرد أولاد كذبة أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب .

١٠- الذين يقولون للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات .

١١- حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل .

هنا يأمر الرب عبده أشعياء أن يسجل لدى الشعب وأمامهم كلمات الوحى الالهى ويكتبها على لوح ويرسمها أيضاً فى كتاب لكى لا تمحى من أمامهم ولئلا تنسى من ضمائرهم بل تظل كائنة ظاهرة حية إلى يوم تحقيقها وإلى يوم مجىء الرب . أليس من البدء كتبت الكلمات منقوشة على الحجر بأصبع الله فى أيام موسى ؟

وهى نقشت على حجر من أجل قساوة قلوبهم ... ولكن تأتى أيام كقول حزقيال النبى **أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم يوم أن ينزع منهم قلب الحجر ويعطيهم قلباً لحمياً (حز ٣٦) .**

وهنا تصير كلمة الله رسالة حية مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى لا فى **ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية (٢كو ٣ : ٣) .**

فهم إن كانوا متمردين فى عصيان للكلمة ذاهبين وراء العالم رافضين للكلمة فهذا ليس معناه أن كلمة الله سقطت أو أنهم بنسيانهم لها واهمالهم إياها أنها ألغيت أو أصبحت بلا فاعلية . حاشا ، **فالسماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول** . هكذا قال الرب . إذن فالكلمة إن كانت منطوقة فى النبوات أو الوعظ والتبكيت أو إن كانت مكتوبة مسجلة منقوشة على حجر أو لوح أو مسطرة فى درج كتاب أو إن تسطرت بروح الله فى ألواح القلب الداخلى فهى فى جميع الأحوال هى هى ، **قوية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين** .

أعجب ما كتب الوحى عن رؤساء الشعب هو هذا التقرير الخطير من ناحية موقفهم من الكلمة الألهيه إذ أنهم لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب أى أنهم صرفوا مسمعهم عن الحق كما يقول الرسول بولس .

وهذا عمل إرادى حينما يسلم الإنسان نفسه لروح الظلمة إله هذا الدهر الذى أعمى عيونهم وسد آذانهم ... لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويرجعوا إلىّ فأشفيهم لذلك صارت لهم آذان ولا يسمعون ...

بل أنهم فى غيهم ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا إذ لم

يكتفوا أن لا يسمعوا الكلمة . وصرفوا مسمعهم عنها بل أنهم يقولون للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات (الرائى هو النبى) .

من خصائص الكلمة أنها مستقيمة لا تعرف العوج أو اللف والدوران لأن الرب ليس عنده تغيير ولا شبه ظل يدور .

والمزمور يقول شهادة الرب مستقيمة تفرح القلب (مز ١٩) حسبت كل وصاياك فى كل شىء مستقيمة وكل طريق كذب أبغضت (مز ١١٩) فاستقامة الكلمة هى الحق ، ضد الكذب ، ضد روح الظلمة ، كيف يطيقها من هو خاضع لروح الظلمة ؟

إن القديس بولس الرسول أوصى تلميذه تيموثاوس أن يقطع كلمة الحق باستقامة وهكذا عاش آباء الكنيسة فى كل جيل .

ولكن استقامة الكلمة يصير تبكيتاً شديد الوطأة ونخس فى الضمير يصرخ ويوجع القلب الخاطىء السائر فى طريق الظلمة والشر .

أما رؤساء إسرائيل فلم يطيقوا هذا ولا قبلوه ، فقالوا

للرائين وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات

فماذا يطلبون إذن ؟

يطلبون لأنفسهم معلمين مستحكة آذانهم كما يتلذذ الإنسان عندما يحك أذنه . هكذا يطلبون الكلام الناعم الملق ، كلام النفاق الذى يلذ لهم أن يسمعوه . أما كلمة الحق فهى تجرحهم لتشفى إرتدادهم ولكنهم رفضوها.

إنك فى كل جيل تجد مثل هذه العينة من الناس ، فالكلام الناعم الملق وزخرف الكلام يخدر الضمير ويخدع النفس . وهناك رسل الشيطان الذين يغيرون شكلهم بالغش إلى شبه المسيح ، يتاجرون بالكلام الملق فيخدعون قلوب السلماء كقول بولس الرسول .

قال أخاب الملك وهو أكثر من باع نفسه للشر – قال لملك يهوذا عندما طلب أن يسأل عن كلام الرب ... قال عن ميخا النبى **رجل واحد لسؤال الرب به ولكننى أبغضه لأنه لا يتنبأ علىَ خيراً بل شراً كل أيامه وهو ميخا بن يمله .**

هكذا صار ميخا النبى مكروهاً إذ تكلم كلمة الحق لأنه وجد فى أيامه أنبياء الكذب وجميعهم كانوا بفم واحد يتنبأون بالخير للملك (٢ أى ١٨) .

حيدوا عن الطريق ... ميلوا عن السبيل اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل .

هؤلاء أحبوا الطرق المعوجة ، الطريق الواسع المؤدى إلى الهلاك وصار لهم إله إسرائيل ووصاياه كصخرة عثرة وصخرة شك لذلك تمنوا لو اختفى من طريقهم وزال من أمامهم ، وهكذا يفعل جميع الذين يسلكون الطرق المعوجة ، لأن وجود الله ووصاياه يفضح خطايهم ويبكت ضمائرهم ، وهم يريدون التنعم والتلذذ دون أن يقول لهم أحد « لا يحل لك » أليس هذا هو علة الإلحاد فى كل جيل فالمستهتر والمستبيح والزانى والفاجر ، لا يطيق كلمة تبكيت ولا يعترف بوجود الله ليس لأن الله غير موجود بل أنه لا يريد وجوده الذى يحول له لذة الشهوات إلى مرارة ويضيق عليه الطريق الواسع ويقف كصخرة عثرة فى وجه الفجار .

انظر كيف صار هذا فى رؤساء الشعب المختار !! يا للأسف العميق إنهم يطلبون أن يختفى الله من أمامهم لكى لا يروه ... وهذا لن يكون بل فى يوم الدينونة ستنقلب الأوضاع حيث لا يطيقون الوجود فى حضرته فيهربون من أمامه ويقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا .

١٢ – لذلك هكذا يقول قدوس إسرائيل لأنكم رفضتم هذا القول وتوكلتم على الظلمة والأعوجاج واستندتم عليها.

١٣ –لذلك يكون لكم هذا الاثم كصدع منقض ناتىء فى جدار مرتفع يأتى هدّه بغتة فى لحظة .

١٤ – ويكسر ككسر إناء الخزّافين مسحوقاً بلا شفقة حتى لا يوجد فى مسحوقه شقفة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب .

هذا قضاء مروع ... رفض الكلمة الحية المستقيمة ، ورفض الطريق المستقيم المؤدى للحياة والفرح واستبداله بالطرق العالمية والمسالك المعوجة والاتكال عليها ... كل هذا الاثم ماذا يلد للإنسان ؟ ... **إن الخطية إذا كملت تنتج موتاً .**

هذا الاثم شبهه الوحى كصدع (شرخ) ناتىء (بارز) فى حائط مرتفع ... هذا ينبىء بأن هذا الجدار آيل للسقوط ... ففى لحظة من الزمن يسقط ويكون سقوطه عظيماً .

ثم شبهه أيضاً بإناء خزفى يلقى للكسر بلا رحمة ولا شفقة فيتهشم وينسحق ويصير بلا قيمة ولا فائدة وحتى

ما يتخلف عن كسره يصير تراباً لا يستفاد منه بشيء .

أعلمت أيها الحبيب كيف تدمر الخطية الكيان كله ؟

هذا هو نصيب من يترك الرب و يدوس شريعته ويلتجيء إلى العالم ليحتمى به .

١٥ - لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل . بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم فلم تشاءوا .

١٦ - وقلتم لا بل على خيل نهرب . لذلك تهربون ، وعلى خيل سريعة نركب لذلك يسرع طاردوكم .

١٧ - يهرب ألف من زجرة واحد ومن زجرة خمسة تهربون حتى أنكم تبقون كسارية على رأس جبل وكراية على أكمة .

كان الرب قد تكلم مراراً عن طريق الخلاص ، بأنواع وطرق متنوعة . ولهذا الشعب ورؤساءه المضطربين من هجوم ملك آشور كان قد أنبأهم بفم أشعياء مراراً عن أنه سيحامى عن المدينة إن تمسكوا بالرب وحفظوا ناموسه وهنا يكرر الوحى ذات الكلمات التى قالها سابقاً الرب الأله ، قدوس إسرائيل لشعبه .

بالرجوع والسكون بالهدوء والطمأنينة :

✤ الرجوع هو التوبة ، ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك .ارجعوا إلى الرب يرجع اليكم .

الرب معكم ما دُمتم معه وإن تركتموه يترككم .

أقوم وأرجع إلى أبى .

تعالوا إلى ياجميع المتعبين ... وأنا أريحكم .

✤ السكون والهدوء هو الاختلاء بالنفس ، ورفض مباهج العالم الزائلة وضجيج الدنيا ، وهذا يكشف عوار النفس وعوار التدبير ...التوبة تكون بالاختلاء ...

لنخرج إليه خارج المحلة

تعالوا إلى موضع خلاء منفردين وحدكم

فرجع إلى نفسه وقال كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز

اعتزلوا تقدسوا ... فأقبلكم

يا شعبى ادخل مخادعك وأغلق بابك ... اختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب .

أما أنت إذا صليت فادخل مخدعك واغلق بابك

الطمأنينة تعنى عدم الخوف . وهذا يحمل معنى الاتكال على الله والإيمان به والثقة الكاملة فى كلمته ، وعدم

الإذعان لأفكار العدو الشرير ، الذى يسبب انزعاجاً واضطراباً وخوفاً مفسداً .

هذه هى خطوات التوبة كما شرحها الوحى الالهى ... فماذا كان موقفهم ؟ قالوا لا ... يا للخسارة الجسيمة عندما يقول الإنسان لا للتوبة ، ولا للسكون ومراجعة النفس والبكاء ولا للطمأنينة والهدوء والسلام الذى يعطيه المسيح . وإن قالوا لهذا لا فلمن قالوا نعم ؟

قالوا نعم للهروب على الخيل واعتمدوا على قوة الفرس ...

وظنوا أن الخلاص يكون بذراع البشر وفكر البشر !!

لذلك يصير لهم الهروب هروب الانكسار لا هروب النجاة . فيطاردهم أعداؤهم ويدركونهم بسهولة إذ يصيرون ظاهرين لهم كسارية على رأس جبل وكراية على أكمة فيراها العدو ولا يخطئها ويتبعها فيدركها ، إذ يكون ستر النعمة قد إنحسر عنهم فلاشىء يغطيهم أو يخبئهم من وجه العدو القاسى .

أليس هذا هو وعد الله منذ القديم منذ أيام إعطاء الشريعة بيد موسى رئيس الأنبياء « يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك فى طريق واحد تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم » .

إن كانت طرقهم مرضية أمام الله « فرجل واحد منكم يطرد ألفاً لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم « (يش ٢٣ : ١٠) والعكس صحيح تماماً يهرب ألف من زجرة واحد ... ومن زجرة خمسة يهرب كل الشعب ...

ضعف ما بعده ضعف ، وخوف قاتل يتملك عليهم ... أليس مكتوباً فى سفر الأمثال « الشرير يهرب ولا طارد له»

١٨– ولذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم ولذلك يقوم ليرحمكم لأن الرب إله حق طوبى لجميع منتظريه .

١٩– لأن الشعب فى صهيون يسكن فى أورشليم . لا تبكى بكاء . يتراءف عليك عند صوت صراخك حينما يسمع يستجيب لك .

٢٠– ويعطيكم السيد خبزاً فى الضيق وماء فى الشدة. لا يختبىء معلموك بعد بل تكون عيناك تريان معلميك .

٢١– واذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة هذه هى الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار .

٢٢– وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك . تطرحها مثل فرصة حائض . تقول لها اخرجى .

ما أعذب حب الله وحنوه على طبيعتنا الساقطة ..!

فالله لا يسّر بموت الخاطىء ... بل يسّر برجوعه إليه .

قال الرب بالرجوع والسكون تخلصون ، فقالوا لا ... فماذا يكون جواب إلهنا الحنون ؟

ينتظر الرب ليتراءف عليكم ، يا للعجب . ينتظر توبتنا ورجوعنا ، ينتظر حبنا ودموعنا .

طويل الروح وطويل الأناة ... يتأنى لعلنا نرجع فنتوب ونندم على الشر ونرجع إليه .

هو يريد أن يرحم ويتراءف ، يعطى ويجزل العطاء ولكن الذى يعوزنا أن نكون فى استحقاق من يأخذ ، أن نرجع إليه ونظهر شوقنا ننال من فيض النعمة عوناً فى حينه .

هو ليس سريع الغضب أو سريع العقاب هو ينتظر ليتراءف ...

ومما يلفت النظر قول الرب « لا تبكى بكاء » ... إن دموع التوبة تغلب تحنن الله بشكل عجيب ... « حولى عينيك عنى فإنهما قد غلبتانى » .

تأمل دموع المرأة الخاطئة ، ودموع داود النبى وبطرس

الرسول ، ودموع أهل نينوى ، ودموع كل القديسين والراجعين لله بالتوبة !!

يتراءف عليك عن صوت صراخك ... حينما يسمع يستجيب . مثل الأم التى تسمع صراخ طفلها ، تهرع إليه بعاطفة ، تضمه إلى صدرها فى حنان ولا تعبأ إن كان متسخاً أو مبللاً ...

صوت صراخ طفلها يستدر حنانها ويثير شفقتها . هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ؟ **حتى هؤلاء** ينسين وأنا لا أنساك يقول الرب .

ما أقوى دموع التوبة وصراخ الصلاة النقية ... إنها تدخل إلى حضرة القدير وتنزل المراحم فى الحال .

قال الرب لحزقيال الملك ، قد رأيت دموعك ، قد سمعت صلاتك. القديسون نالوا استجابة فورية وهم بعد يتكلمون بكلام الصلاة ، كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة ألا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ثم صلى أيضاً فأعطت الأرض ثمرها ....

فإن علمنا هذا فلماذا نحن متكاسلون عن الصلاة والتذلل وقد جمدت مآقينا عن ذرف الدمع ؟

لماذا لا نأخذ ؟ لأننا لانطلب ، ليس لنا دموع ولا صراخ الصلاة وماذا يعطى إن طلبنا ؟

يعطى ذاته ...

خبزاً فى الضيق ، وماءً فى الشدة

نعم هو خبز الحياة للنفوس التى كانت محسوبة ميتة من يأكله لا يجوع ومن يؤمن به لا يعطش .

خبز الحياة النازل من السماء واهب حياة العالم .

وهو الماء الحى ... الذى ينبع إلى حياة أبدية

ولا يختبىء معلموك بل تكون عيناك تريان معلميك

فالخبز ليس مادياً ولا الماء ، بل هو خبز الكلمة وماء الحياة فمعلمو البيعة الرسل الأطهار أظهرهم الرب وأرسلهم هؤلاء الذين لم يكن يسمع لهم صوت ، إلى أقصاء المسكونة بلغت أقوالهم .

٢١ - وأذناك تسمعان كلمة خَلفَك قائلة هذه هى الطريقة اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار .

حينما يفتقد الرب شعبه بالخلاص ، يصير معلمو الحق ظاهرين ، مرسلين يبشروا بالسلام ويبشروا

بالخيرات ، برد كل واحد عن طريقه . فالمسالك القديمة التى تعوجت ، تصير مستقيمة ، ككرازة الكارزين « **قوموا سبله مستقيمة** » .

والرسل هم الذين يرشددون الضالين إلى سُبل الخلاص

الطريق هو المسيح « **أنا هو الطريق والحق والحياة** » .

أما أن أذناك تسمعان كلمة خلفك ، فهذا معناه أن الرب يسعى دائماً وراء الخطاة ، يتبعهم حتى فى إنحرافهم نحو اليمين أو اليسار ، وينادى مناداة التوبة والخلاص قائلاً ارجعوا إلىّ أرجع إليكم ، ليترك الشرير طريقه ورجل الاثم أفكاره ... أعلمك أرشدك الطريق التى تسلكها ، أنصحك ، عينى عليك .

٢٢- وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك . تطرحها مثل فرصة حائض تقول لها اخرجى .

ماذا يكون قبول الإنسان كلمة الحياة التى تدله على طريق السماء ، سوى رفضه الأشياء التى تعبد لها واستعبد ذاته لها ؟

يسقط العالم سقوطاً ويرفض رفضاً من النفس التى وجدت المسيح ، « ها قد تركنا كل شىء وتبعناك »

« ما كان لى ربحاً حسبته خسارة »

« فقام وترك كل شىء وتبعه »

« قبلتم سلب أموالكم بفرح »

« كل الذين كانوا أصحاب بيوت أو حقول كانوا يبيعونها ويأتون بأثمانها ويضعونها عند أقدام الرسل . لقد تغيَرت الحواس ، النظر والسمع بسماع الكلمة وقبولها والسلوك فى طريق الحياة الأبدية ، والبرهان واضح هو رفض القديم وخلع الإنسان العتيق مع تصرفاته ... أنسى ما هو وراء .

٢٣- ثم يعطى مطر زرعك الذى تزرع الأرض به وخبز غلة الأرض فيكون دسماً وسميناً وترعى ماشيتك فى ذلك اليوم فى مرعى واسع .

٢٤- والأبقار والحمير التى تعمل الأرض تأكل علفاً مملحاً مذرى بالمنسف والمزراه .

٢٥- ويكون على كل جبل عال وعلى كل اكمة مرتفعة سواقٍ ومجارى مياه فى يوم المقتلة العظيمة حينما تسقط الأبراج .

٢٦ - ويكون نور القمر كنور الشمس ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام فى يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفى رض ضربه .

قمة استعلان الخلاص أورده الروح بهذه الكلمات فى يوم الخلاص العظيم الذى صنعه المسيح بالصليب حيث عبّر الوحى عن هذا اليوم « يوم يجبر الرب كسر شعبه » حينما بذل ذاته وذبح وانحنى بالصليب وكسر شوكة الموت الذى قتل الجميع وأقام الموتى بقيامة . فى ذلك اليوم استعلنت رحمته الله بقوة فائقة ، المسيح هو شمس البر أشرق جسدياً من العذراء مريم - أما فى يوم صليبه ، فقد أشرقت رحمته ومحبته بنور وهاج هو كمال الحب الالهى - إذ كان قد أحب خاصته إلى المنتهى لذلك قال الوحى أن نور الشمس يتوهج فى ذلك اليوم سبعة أضعاف ، لذلك اختفت الشمس المادية فى وسط ذلك النهار ، أخفت وجهها من أمام شمس البر ، لم تحتمل الوجود فصارت ظلمة مادية على الأرض كلها كما يشهد الإنجيليون من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة ، بينما وهج الشمس الحقيقية أذاب الخطايا وذهب بالظلمة وبددها إلى أبد الأبد .

ومن ملامح زمن الخلاص وغنى النعمة .

إعطاء المطر للزرع ... والمطر هو الروح القدس والزرع هو كلام الله وخبز غلة الأرض يكون دسماً إذ يحوى سر الشبع والغنى والنمو معاً . والغنم - الرعية المقدسة - ترعى فى مرعى واسع (راجع مزمور **« الرب راعى فلا يعوزنى شىء فى مراعٍ خضر يربضنى »**) .

واليوم المنتظر للخلاص تتفجر ينابيع المياه - أى ينابيع الروح القدس - فى الأماكن التى لا يتخيلها ذهن البشر ، فى الأماكن المرتفعة - الجبال العالية والأكمة المرتفعة ، حينما تسقط أبراج الكبرياء المرتفعة ، تصل مياه الروح منسكبة على كل بشر ، وعلى العبيد والإماء ...

هذه بعض ملامح زمن الخلاص ، ما أبهجها أزمنة ، طوبى للذين ينعمون بها ومبارك الرب الذى أعطى بسخاء وأجزل لنا كل عطية صالحة وكل موهبة تامة نازلة من فوق .

٢٧- هوذا إسم الرب يأتى من بعيد ، غضبه مشتعل والحريق عظيم . شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة .

٢٨- ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة لغربلة الأمم بغربال السوء وعلى فكوك الشعوب رسن مضل .

٢٩- تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناى ليأتى إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل .

٣٠- ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعيه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد .

٣١- لأنه من صوت الرب يرتاع أشور بالقضيب يضرب .

٣٢- ويكون كل مرور عصا القضاء التى ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان وبحروب ثائرة يحاربه.

٣٣- لأن تفته مرتبة منذ الأمس مهيأة هى أيضاً للملك عميقة واسعة كومتها نار وحطب بكثرة . نفخه الرب كنهر كبريت توقدها .

عملان يبدو أنهما ضدان فى تدبير الخلاص ، عمل الفرح واللطف والاحسان ، وعمل النقمة والسخط ، وهذان كأنهما وجهين لعملة واحدة ، كالخلاص الذى حدث يوم البحر الأحمر نجاة لأولاد الله وغرق لفرعون ومركباته ، أو كالخلاص فى يوم الطوفان نجاة داخل الفلك وهلاك خارجه .

لذلك جاءت كلمات الوحى بعد عمل الرحمة وتجبير كسر الشعب وتوهج الرحمة والحب إلى سبعة أضعاف ، جاءت كلمات غضب مشتعل وحريق عظيم وشفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة ... هو إذن ذات العمل إذ أباد الرب فى يوم واحد سطوة الشيطان وقوة الموت وهتك فخر العدو وأذله .

فهى بالنسبة للشيطان وقواته سخط وغضب أما بالنسبة لأولاد الله فأغنية تسبيح كليلة عيد فرح وسرور أبدى كالسائر بالناى إلى جبل الرب إلى المسيح صخر الدهور .

صوت الرب وذراعه (عدد ٢٠) .

فى قصة الخلاص يسمع الرب جلال صوته ، ويرى نزول ذراعه ، صوت الرب هو كلمته . ربنا يسوع المسيح ،وقد شمر عن ذراعه القدوسة بالتجسد فرآه كل بشر .

فى يوم الخلاص بموسى ، صارت ذراع الرب ممتدة بالقوة ، ويمينه صنعت الخلاص وشقت البحر وعبرت المفديين .

وفى يوم المعمودية صار صوت الرب ، صوت الآب ، صوت من السماء « هذا هو إبنى الحبيب » .

صوت الرب بقوة صوت الرب على المياه ، (عدد ٣١ : ٣٢) وكما أعد البحر الأحمر لهلاك فرعون هكذا أعدت هوة الجحيم للشيطان (المهلك) رئيس هذا العالم إذ سقط مثل البرق فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت إذ وقعت عليه عصا القضاء وحكم الصليب .

أما هوة الرعبة فهى مهيأة (النار المعدة لإبليس) وعميقة وواسعة نار وحطب ، كنهر كبريت توقدها كلمة قضاء الرب .

إنه مصير مفزع ، يتبعه إليه جميع الذين خضعوا لروح الظلمة وأطاعوه وجميع الذين لم يقبلوا الخلاص بل رفضوا النجاة ..



أشعياء ٣١

١- ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جداً ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب .

٢- وهو أيضاً حكيم ويأتى بالشر ، ولا يرجع بكلامه ويقوم على بيت فاعلى الشر وعلى معونة فاعلى الاثم .

٣- وأما المصريون فهم أناس لا آلهة ، وخيلهم جسد لا روح ، والرب يمد يده فيعثر المعين ويسقط المعان ويفنيان كلاهما معاً .

يعود يحذر أشعياء النبى بروح الرب وكلمته من النزول إلى مصر لطلب المعونة ضد الأشوريين . وقد تكررت مثل هذه التحذيرات مرات كثيرة لأنه كلما كان يشعر ملوك يهوذا وشيوخهم وكهنتهم بخطر يتهددهم أو باقتراب جيش لمحاربتهم كانوا يرجعون بقلوبهم إلى مصر فى حركة ارتداد عن الله الحى .

كان قلبهم مازال تحت العبودية ... كانوا يرون فى فرعون ومركباته وفرسانه القوة التى لا تغلب والمعونة

والسند . أما منظر ضعف فرعون وسقوط فرسانه وبكرات خيله مطروحه فى البحر وغائصة كالرصاص فى الماء الغزير هذا المنظر غاب تماماً عن نظر هذا الشعب ورؤسائه معاً . على أن الخطر كله يكمن ليس فى طلب المعونة من مصر ولكن عدم الإلتجاء إلى الله والثقة فى مواعيده والرجاء بالرب الذى هو خير من الرجاء بالرؤساء .

أين هؤلاء من داود النبى الذى قال لجليات أنت تأتينى بسيف وبرمح وأنا آتيك بقوة رب الجنود .

أين هم من موسى الذى قال قفوا وأنظروا خلاص الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون .

إن الذى يتقوى ويتشدد بالله يختلف تماماً فى سلوكه عن الذى جعل القوة البشرية معتمده ويقول ذراعى يخلصنى .

فما هى ذراع البشر ... حقاً إنه ملعون من يتكل على ذراع البشر .

ماذا يملك المصريون ؟ فرسان ومركبات ثم ماذا يقول الله « المصريين إنهم أناس وليسوا آلهة » ... **ومن هو**

الإنسان مولود المرأة ... ماذا تحسب قوته إنما كخيال يتمشى الإنسان ... ومثل عشب السطوح الذى ييبس قبل أن يقطع . سريعاً يفنى جمال منظره . أما خيل المصريين فهى جسد لا روح والجسد ضعيف مهما بلغت قوته .

أما القوة الإلهية فليس لنا أن نقارنها بالقوة المادية لأنه لا وجه للمقارنة على الإطلاق .

مركبة إسرائيل وفرسانها النارية التى رآها إليشع تحمل إيليا إلى السماء وجيش الملائكة الذى رآه يشوع وقوات الروح دحرت جيش سنحاريب ... فيها الكفاية لأن تبكت هذا القلب الذى يميل إلى الإتكال على العالم ويطلب منه عوناً .

على أن هذا الدرس يعزى النفوس التى جعلت على الرب اتكالها وألقت عنها الرجاء فى كل ما هو منظور فطرحت عند قدمى الرب كل ما تملك ولم يعد لها سوى الرب عاضداً وناصراً ومعيناً شديداً يوجد فى الضيقات ويمد كلمتين ذراعه القوية ويمينه المعتزة يصنع الخلاص ويعزى نفوس عبيده . كم من أناس وضعوا رجاءهم فى البشر فخاب رجاؤهم . كم من مرة طلبنا يد البشر لتخفف آلامنا أو تمسح دموعنا .

ولكن ليت لنا هذا الإيمان الذى يطلب الرب وحده قبل كل شىء وفى كل حال .

لأن الرب يمد يده ، فيعثر المعين ويسقط المعان ، ويفنيان كلاهما معاً . **أليس أن أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة** ، ماذا حدث حتى أنك تتكل على انسان يموت .

اتكل على الرب فهو يرفعك وينجيك ويخلصك ويقول **« لأنه اتكل علىّ فأنجيه .. أستره لأنه عرف اسمى ... معه أنا فى الشدة »** .

ليكن هذا نصيبنا إلى الأبد .

٤ -لأنه هكذا قال لى الرب كما يهر فوق فريسته الأسد والشبل الذى يدعى عليه جماعة من الرعاة وهو لا يرتاع من صوتهم ولا يتذلل لجمهورهم هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أكمتها .

٥ - كطيور مرفة هكذا يحامى رب الجنود عن أورشليم يحامى فينقذ يعفو فينجى .

ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أكمتها .

أحب الرب أبواب صهيون هكذا قال المرتل .

القضية أصلاً قضية حب عجيب للمدينة المقدسة (الكنيسة) جبل الله ، محل مسكن مجده .

لذلك يقال دائماً أحامى عن هذه المدينة من أجل اسمى .

لقد دعى اسمه عليها فصارت له ... هى عروسة التى اقتناها بدمه . وفى نزوله إلى الأرض (تجسده) ليدافع عنها شبهه الروح بأسد متمسك بفريسته ، هنا تبدو قوة الخلاص ، وتصميم الرب من نحو الانقاذ شئ رهيب حقاً.

من يستطيع أن يقف فى طريقه ؟

هو نزل ليخلص ويستحيل ألا يخلص .. حتى أعتى الخطاة .

حتى المنتن من القبر ... يستطيع أن يقيمه من براثن الموت إذ ليس شئ غير ممكن لدى الله بل كل شئ مستطاع لديه .

وقوة محبته التى نجانا بها من يستطيع أن يعبر عنها؟

يكفى أن ننظر إلى الصليب لندرك سر قوة المحبة الفائقة . ولكن لماذا يشبه بالأسد ، أليس هو الأسد الخارج من سبط يهوذا بحسب النبوات من التكوين .

ثم يستطرد الروح فيورد تشبيهاً آخر لعله يبلغ إلى كمال الوصف وتوضيح قوة الخلاص وغريزة الحب إذا تصدت للدفاع عن المحبوب الصغير ، كما يحامى الطائر عن فراخه الضعيفة فى عشها يرف عليها بجناح القوة يحمى ويحامى وينقذ وينجى .

ألم يشبه رب المجد يسوع نفسه بالطائر يريد أن يجمع أولاده تحت جناحيه أى تحت ظل الصليب عندما بسط يديه عليه ؟ .

٦ –ارجعوا إلى الذى ارتد بنو إسرائيل عنه متعمقين.

٧ – لأن فى ذلك اليوم يرفضون كل واحد أوثان فضته وأوثان ذهبه التى صنعتها لكم أيديكم خطيئة .

٨ – ويسقط أشور بسيف غير رجل . وسيف غير إنسان يأكله فيهرب من أمام السيف ويكون مختاروه تحت الجزية .

٩ –وصخرة من الخوف يزول ومن الراية يرتعب رؤساؤه يقول الرب الذى له نار فى صهيون وله تنور فى أورشليم .

يعود الرب الحنون فيوجه نداء للتوبة لعلهم يميلون

السمع فيسمعوا ، قائلاً ارجعوا إلى الذى ارتد عنه بنو إسرائيل . فالتوبة هى رجوع إلى الله .

قيل عن أهل نينوى فى توبتهم أنهم **رجعوا** كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذى فى أيديهم .

والابن الشاطر قال الرب عنه أنه قال فى نفسه أقوم **وأرجع** إلى أبى . وقد نادى الرب أيضاً ، **ارجعوا إلىّ أرجع إليكم يقول الرب** ، فإن كانت حياة الخطية والبعد عن اللّه تسمى ارتداداً ، فالتوبة هى الرجوع إلى حياة مع الله . رجوع إلى الحالة الأولى والحلة الأولى والفرح الأول ورجوع إلى حضن الآب وكل التنعمات التى تنبع منه .

وماذا كان نصيب من ارتدوا عنه ؟ إلا البوار والبؤس والظلمة ونجاسة الخطية والجوع حتى إلى الخرنوب ؟

والخطورة هنا يكشفها الروح أن بنى إسرائيل ارتدوا عنه **متعمقين** ، أى بكامل الإرادة ، بإصرار ، بنية ردئية وقلب راجع إلى العالم ، راغب فى الشهوات ، عنيد غاية العند . وهم إذ أسلموا نفوسهم للشر ، صاروا متعمقين فيه متمرسين عليه أبطال فى عمله ، يسرون بالذين يفعلون السيئات ويشجعون عليها ... قلبهم راجع إلى مصر مرة أخرى لطلب المعونة .. إنها حركة سلبية أصابت القلب والحواس .

فى بداية الأصحاح يقول ويل للذين ينزلون إلى مصر (بقلوبهم) لطلب المعونة . ونراه هنا يقول ارجعوا إليّ .. (اطلبوا مني) أنا هو معزيكم لا تلتجئوا إلى إنسان ، لا تتكلوا على ذراع البشر ، ليس كم معين سواى ، تذكروا الأيام الأولى ، حين أخرجت أباءكم من أرض مصر بذراع رفيعة ، وكيف رجعوا بقلوبهم إلى مصر فأصابهم ما أصابهم حتى طرحت جثثهم فى القفر .

أما علامات الرجوع وبركات العودة إلى الله ، فيوجزها الروح هكذا فى ذلك اليوم يرفضون كل واحد أوثان فضته وأوثان ذهبه التى صنعتها لكم أيديكم .

لقد ملك الذهب والفضة عليهم ، واحتلت مكان اللّه فى القلب حتى صارت تعبد كأوثان - تقدم لها سجود الخضوع وبخور التوسلات . فماذا يعنى الرجوع إلى اللّه سوى رفض هذه وتنقية القلب والفكر وسكنى الله فى قلب الإنسان . فيوم أن يرفض الإنسان معبوداته الأخرى تكون هذه علامة التحرر من العبودية والرجوع إلى حرية مجد أولاد اللّه .

نلاحظ أن الأصنام كلها صنعة أيادى الناس ، أى أن الإنسان هو الذى يؤله هذه الأشياء إن كانت ذهب أو فضة أو أى إله آخر .

هى فى ذاتها مادة ميتة لا تملك نفسها .

أيادى الأنسان هى التى تصنعها آلهة .

الانحراف كائن فى إرداة الإنسان وليس لعيب فيما يقتنيه الإنسان .

ويسقط أشور بسيف غير رجل ، وسيف غير إنسان يأكله فيهرب من أمام السيف .

«السيف هنا ليس مادياً ، هو سيف الروح ، تكلم عنه بولس الرسول أنه أنه كلمة الله « سيف الروح الذى هو الذى هو كلام اللّه » وأظهره القديس يوحنا فى رؤياه ، إذ رآه سيفاً من نار خارجاً من فم المسيح . ونبه ملاك كنيسة برغامس أنه يأتى ويحارب البتعدين ويغلبهم بسيف فمه .

لذا قال اشعياء النبى أنه سيف غير رجل ، وسيف غير إنسان .

إنه سيف الاله المتأنس ، سيف الروح الذى يخرج من فمه . لقد حقق الرب كلمة النبوة هذه عندما قتل من جيش سنحاريب ملك أشور ١٨٥ ألفاً فى ليلة واحدة ، هذه ليست قدرة بشرية ، إذ لم يكن سيف رجل ، بل سيف ملاك الرب ..

فإن كانت هذه الأعجوبة المقتدرة صارت خلاصاً من

حصار جيش سنحاريب وتجبر ربشاقى رئيس جيشه فقد صنع الرب بتجسده وصلبه ، بغير سيف رجل ، انتصاراً على جيوش الظلمة وسلطان الموت إذ أشهرهم جهاراً ظافراً بهم ، كاسراً شوكة الموت .

أية الخلاص الذى صنعه المسيح ، أنه بالتجرد والاخلاء ، سحق الشيطان . كمثل داود القائل **أنتَ تأتينى بسيف ورمح وأنا آتيك باسم رب الجنود .**

ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحى قال رب الجنود .

ويكون مختاروه تحت الجزية ، وصخرة من الخوف يزول ومن الراية يرتعب رؤساؤه يقول الرب الذى له نار فى صهيون وله تنور فى أورشليم .

بالخلاص الذى صنعه الرب ، تنقلب الموازين ، فالشر المتجبر ينكسر ، والظلمة المدلهمة تهرب وتنقشع ، بالموت داس الموت الذى قتل الجميع ، وهذه هى الملامح المتكررة فى قصص الخلاص التى كانت كلها رمزاً وظلاً لما صنعه الرب يسوع المخلص إلى التمام .

أين جبروت فرعون وخيار مركباته وفرسانه ؟!

أين هامان الوزير الشرير وأعوانه ؟!

أين الذين اشتكوا على دانيال حتى ألقوه فى جب الأسود؟!

كما كان ، وهكذا يكون إلى جيل الأجيال .

مختاروه الذين يجمعون الجزية بجبروت وسلطان ، يصيرون تحت الجزية فى مذلة الهوان .

صخرة الذى اتكل عليه ، وظن أنه بعيد عن الخوف ، يدركه الزوال ويداهمه الخوف من كل جانب .

رؤساؤه الذين يرفعون رايتهم كمنتصرين ، تنكس رؤوسهم فى التراب إذ تصير راية الصليب لهم خوفاً ورعباً .

هذه هى مواعيد الخلاص التى حققها الرب فى كل الأجيال وهو محققها إلى يوم مجيئه .

وهذا قوله أنه إذ ألقى ناره (فى صهيون) على الأرض وصارت إرادته أن تضطرم ، وأوقد تنوره فى كنيسة (أورشليم) .. فمن يقدر أن يطفئ لهيب هذه النار . محبة المسيح صارت كنار فى كل قلب ، مياه كثيرة لا تطفئ المحبة ، نار لظى الرب . سكبه بالروح فى يوم الخمسين ، ومنذ تلك اللحظة لم تنطفئ للرب نار شهادة ، وحب وبذل وحتى بذل الذات وسفك الدم ، ونار النسك والتقشف والتعفف .. لم تزل تضطرم ، وتمتد ، وستظل تتأجج فى كنيسة المسيح إلى يوم ظهوره الثانى المخوف .



اشعياء (٣٢)

١ – هوذا بالعدل يملك ملك . ورؤساء بالحق يترأسون.

٢ – ويكون إنسان كمخبأ من الريح وستارة من السيل ، كسواقي ماء في مكان يابس كظل صخرة عظيمة في أرض معييه .

٣ – ولا تحسر عيون الناظرين ، وأذان السامعين تصغى ، وقلوب المتسرعين تفهم علماً وألسنة العيين تبادر إلى التكلم فصيحاً .

بعدما وصف الروح في نهاية الأصحاح السابق انهيار مملكة الظلمة وإنكسار قواتها يعود فيورد عدة تشبيهات غاية في الدقة والأحكام يصف بها الرب والمخلص .

فهو أولاً : ملك

ثانياً : يملك بالعدل

ثالثاً : إنسان

رابعاً : يكون كمخبأ من الريح

خامساً : ستارة من السيل

سادساً : كسواقى ماء

سابعاً : كظل صخرة عظيمة

وهذه الأوصاف مجتمعة تكشف عن شخص المسيا الذى هو مشتهى الدهور ورجاء كل نفس واقعة تحت ظلال الموت ، إذ يصير هكذا للنفوس المترجية الخلاص ، فتجد فيه كل كفايتها وترتاح فيه فوق كل ما فى الخليقة .

فإن كانت النفوس قد سئمت ملكوت الشيطان وسيادة الظلام ونتن الخطايا فالمسيح جاء ملكاً ، ملك السلام ، ملك البر ، ملكوته ما لا يزول ، ملكوت السموات ، ملكوت الله ، وقد استعلن ملكوته العجيب من المذود **«وحيث ولد لكم مخلص» « أين هو المولود ملك اليهود »** حتى ملك أخيراً بالصليب **« الرب قد ملك على خشبة »** وكتب عنوانه على الصليب **« يسوع الناصرى ملك اليهود .**

٢- وهو يملك على النفوس بالعدل ليس على شاكلة ملوك الأرض الذين يملكون بالظلم والسلطة ، والتسلط « رؤساء العالم يسودونهم » ..

ولكنه يملك بالحق ، بالعدل ، بسلطان الروح وقوة الحب الالهى ملك على كنيسته ببذل ذاته ، وذبيحة نفسه ، فلم تزل تسبحة كل يوم قائلة مستحق وعادل ، مستحق وعادل .

٣- أما كون المخلص الهاً فقد صار إنساناً لأجلنا ودُعى إبن الانسان الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده . **عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد .**

٤- صار الرب بالحقيقة كمخبأ من الريح الشرير ، **إسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع . هلم يا شعبى** اختبىء نحو لحيظة ندخل إليه ، نختبئ فيه ، نحتمى فيه ، إذا أخذ بشريتنا وحملنا فيه ، صرنا كمن هو مخفى ومخبأ فى حضن اللّه ، من يستطيع أن يمسنا وأى ريح أو روح شر تستطيع أن تهزنا أو تخيفنا .

٥- أيضاً ستارة من السيل كما يصفه المزمور أيضاً ، **«عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تصيب أنت ستر لى» مز** ٣٢: ٦-٧.

به نقول **«أترى جازت نفوسنا الماء الذى لا نهاية له ؟»** فهو ستر منيع للنفس ، مخلص بالحقيقة ، من يحتمى به لا يجرفه تيار روح العالم ولا كبرياء الأردن وعتو أمواجه . طوبى لمن يتمسك به ويتكل عليه .

٦- من ناحية أخرى يصف مخلصنا الصالح ، كسواقى ماء فى مكان يابس .

إذ أنه هو الماء الحى ، ماء الحياة ، وهو واهب الروح القدس الذى هو ينبوع الماء الحى ، وهو الذى يعطى

العطشــان ماء حيـاة مجاناً ، ومن آمن به تجرى مـن بطنه أنهار مـاء حيّ ، فبالحـقيقة فـإن مخلصنا ، فـي وسـط برية هذا العالم ، وفـي الأرض اليابسة العطشى ، صـار لمختاريه سواقـي ماء الحيـاة . ما أجـمل ما كـتبه المـزمور « مجارى **الأنهار تـفرح مدينـة اللّه ، لقد قـدس العلى مسكنه واللّه فى وسطها .. يعين اللّه وجهها »** . يكفى للـنفس أن تعطش إليه فيرويهـا أليس هـو القـائل « **طوبى للجـيـاع والعطاش إلى البر ؟** » .

٧- أمـا كـمال الـتشبـيـه ، فـهو أن المسـيح هـو صــخـر الدهـور ، الذى لا يزول ولا يتزعزع ، وإن عثر به كثيرون ، وترضـض كل من سـقط عليه . أما بـالنسبة للمـؤمنين به فهـو الحمـاية والنجاة ، والـقوة والخلاص ، مـن يحتـمى به فقد احتمى بالاله الحى الذى لا يـخزى منتظروه .

مع هذه الأوصـاف العجيبة التى اجتمعت فى مـخلصنا الصــالح فـلن تخـطئه عـين ناظر ولا أذن سـامع ، إلا الـذين أعمـى إله هـذا الدهـر عيونـهم وأغلظ آذانهـم عن السـمـاع ،. **فصـاروا مبصـرين لا يبصـرون وسـامعين لا يفهمـون ولا يدركون .**

ولكن للمؤمنين ، فقد طوّب عيونهم لأنها تبصر وآذانهم لأنها تسـمـع . لأن ملـوكاً وأبراراً كـثـيرون اشتـهـوا أن

ينظروا ما أنتم تنظرون وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون .

أما القلوب المتسرعة فقد صارت بالمسيح تفهم علماً وأما ألسنة العيين فبادرت بالتكلم فصيحاً لقد أدرك الخلاص كل حطام الانسان وأقام منها قوة واقتداراً كما يقام الأموات . فانفتحت عيون العمى ، وآذان الصم . ولسان الأخرس تكلم مستقيماً ، أليس هذا ما نسمعه مسجلاً فى أنجيل يسوع المسيح .

هذه هى البشارة المفرحة بالأنجيل والتى سبق أشعياء بالروح فأعلنها فى نبواته التى إذ تقرأها النفس فى العهد الجديد تدرك بنشوة الفرح ما صار مدّخراً لنا فى المسيح يسوع من كنوز الرحمة وينابيع الخلاص . فلنمجده ونرفع إسمه لأنه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته .

٥ – ولا يدعى اللئيم بعد كريماً ولا الماكر يقال له نبيلٌ.

٦ – لأن اللئيم يتكلم باللؤم وقلبه يعمل اثماً ليصنع نفاقاً ويتكلم على الرب بافتراء ويفرغ نفس الجائع ويقطع شرب العطشان .

٧ – والماكر آلاته رديئة هو يتآمر بالخبائث ليهلك البائسين بأقوال الكذب . حتى فى تكلم المسكين بالحق .

٨ – وأما الكريم فبالكرائم يتآمر وهو بالكرائم يقوم .

هنا يصف الروح أن زمن المسيا يكون زمن النور والكشف والوضوح لقد عملت الظلمة فى الأزمنة القديمة ، والحية المتحوية بالمكر والخديعة أهلكت الكثيرين ، وها قد جاء زمن فضيحة الشر حتى لا ينخدع به أحد .

فاللئيم والماكر هو عدو الخير ، إذ فضحه الرب صار مكشوفاً للقديسين والمؤمنين بالمسيح لا ينخدعون به حتى لو غيّر شكله إلى شبه رسل المسيح لو حتى إلى ملاك نور .

وبضاعته صارت بضاعة نجسة ، اللؤم ، الاثم ، المكر ، النفاق ، الافتراء ... هذه هى آلات ردية .

كما أسماها الرسول أيضاً « **أعمال الظلمة غير المثمرة** ، أما ما أظهر فهو نور .

لقد صار لنا بالمسيح يسوع نعمة الافراز « **نحن نعلم أن إبن الله قد جاء وأعطانا بصيرة** » ، لقد انفضح الشيطان وكل جيشه ، إذ أشهرهم المسيح بصليبه جهاراً ، وكشف خبث الخبيث ومكر الماكر أيضاً كما فى التجربة على الجبل ، فمن يصدقه بعد ؟ أو من ينخدع بشهواته الردية وحيله الخبيثة ؟ نشكر الله للذى أنار لنا الحياة فلم نعد نصدق كل روح بل نمتحن الأرواح ... هل هى من الله ؟ .

٩ – أيتها النساء المطمئنات قمن إسمعن صوتى . أيتها البنات الواثقات إصغين لقولى .

١٠ – أياما على سنة ترتعدن أيتها الواثقات لأنه قد مضى القطاف الاجتناء لا يأتى .

١١– ارتجفن أيتها المطمئنات ارتعدن أيتها الواثقات تجردن وتعرين وتنطقن على الأحقاء .

١٢ – لاطمات على الثدى من أجل الحقول المشتهاة ومن أجل الكرمة المثمرة .

١٣ – على أرض شعبى يطلع شوك وحسك حتى فى كل بيوت الفرح من المدينة المبتهجة .

١٤ – لأن القصر قد هدم جمهور المدينة قد ترك . الأكمة والبرج صارا مغاير إلى الأبد مرحاً لحمير الوحش مرعى للقطعان .

١٥ – إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً ويحسب البستان وعراً .

على الرغم من أن استعلان خلاص المسيح وملكوته صار واضحاً هكذا لنفوس المؤمنين . حتى صار العمى يبصرون والخرس يتكلمون والموتى يقومون والمساكين يبشرون كما قال ربنا ، إلا أنه وجدت نفوس رافضة جاحدة

كما كتب عن الفريسيين أنهم رفضوا مشورة اللّه من جهة أنفسهم غير معتمدين من يوحنا المعمدان .

هكذا يعلن الروح صريحاً أن الإيمان فعلاً ليس للجميع، فقد وجد من يعثر بالمسيح ومن قيل عنهم إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ولكن كيف يصف الروح هذه النفوس وبماذا يشبهها ؟

لقد شبهها بنساء مطمئنات ، وبنات واثقات . وهذا يشير إلى نفوس ملك عليها الكبرياء والرياء مثل جماعة الكتبة والفريسيين ورؤساء كهنة اليهود آنذاك .

أو مثل نفوس أسكرتها خمار العالم الزائل فذهبت بعقلها بعيداً عن الحق فأحاط بها الخطر وهى فى بلادة الحس تبدو مطمئنة أو واثقة . وهى والحال هذه يباغتها الهلاك كالمخاض للحبلى فلا ينجون كما قال الرسول فينقلب فجأة ، فى لمح البصر ، اطمئنانها إلى ارتعاب وثقتها إلى خجل واتكالها على الباطل يصير لها فخاً وقنصاً هذا ما عبّر به الروح ، أن هذه الثقة الباطلة لا تدوم إلى أيام « أيام على سنة » .

لذلك ينادى الروح هذه النفوس المتغافلة عن الخلاص والمتباعدة عن مصدر الخير ربنا يسوع المسيح ، يناديها نداء التوبة والرجوع ، نداء البكاء والدموع ، وليس طريق

آخر يهدى النفوس المتكبرة فى ثقتها والمطمئنة فى كبريائها سوى الاتضاع ومسكنة الروح .

لذلك يقول لا حصاد من طريق الاتكال على النفس والثقة بالذات وتسويف العمر بالكذب ، لا يأتى ولا يكون جنى ولا ثمر من هذه الشجرة المرة لذلك يلح الروح على هذه النفوس .

ارتجفن ، ارتعدن ، تجردن ، تعرين ، تنطقن على الأحقاء لاطمات على الثدى .. **ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة** كما قال يعقوب الرسول لأغنياء هذا الدهر من أجل الحقول المشتهاة ومن أجل الكرمة المثمرة، لأنه إذ يجوز الانسان فى ندم التوبة ودموع الاتضاع يدرك حقيقة الأمر أن الحقول ليس فيها ثمر والكرمة صارت يابسة تستحق البكاء ، أما إذا أعمت الكبرياء عينه ، فيقول واثقاً بلسان الفريسى اللهم انى اشكرك انى لست مثل سائر الناس الخاطفين الظالمين الزناة .

لسان حال هذه النفوس المطمئنة على غير حق ، يقول إنى غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شئ . وصوت الروح يكشف له عوار نفسه أنه شقى وبائس مسكين أعمى وعريان .

✤ لقد طلع الشوك والحسك ، أى ثمر الخطية البغيضة، وملأ كل مكان ، كل البيوت حتى بيوت الفرح . البيوت هى المساكن التى يشتهى الروح أن يجد له فيها راحة ، قد ملكها عدو الخير ، وصارت مسكناً له صارت كبرية قفر ، تسكن فيها وحوش الغرائز ، وثعالب المكر ، وثعابين اسم الموت حتى بيوت الفرح ، النفوس التى يفرح الروح أن يجد فيها مسكناً وراحة ، طلع فيها أيضاً شوك وحسك الخطايا.

✤ **لأن القصر قد هدم ، جمهور المدينة قد ترك ، الأكمة والبرج صارا مغاير إلى الأبد ، مرحاً لحمير الوحش مرعى للقطعان** . أى أن الخطية جاءت على كل شئ ، أفسدت كل شئ ظل الخطية هو ظل الموت ، الذى قد يُعبّر عنه مادياً بالخراب والقفر والأماكن المهجورة ، حيث ليس ساكن ولا موضع لحياة .. هكذا صار حال البشرية فى أيام هجرها إذ قد أفسدت الخطية والعصيان كل واحد لا سيما النفوس المعتبرة أنها فى مراكز القيادة مثل القصر، والأكمة ، والبرج أى الأماكن العالية .. صارت هى بالأكثر مستوحشة وخالية من الروح .

ولكن إلى متى تصير هذه الأمور ، إلى متى تملك الخطية ، وحتى متى يعانى الانسان من سلطان الظلمة وسيطرة الموت .

هذا ما يجيب عنه إشعياء قائلاً :

إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً .

يا للإبداع العجيب والبصيرة النبوية الثاقبة التى سبقت الزمن بمئات السنين !!. هكذا انتظر الأنبياء هذا اليوم السعيد يوم سكب الروح القدس من العلاء .

يومها دب روح الحياة فى الموتى فحيوا .. حياة أبدية . يومها سكب الرب روحه على كل بشر كما تنبأ يوئيل أيضاً فتحولت البرية القفرة إلى فردوس . والنفوس العطشى إلى ينابيع مياه ، والمنازل المهجورة صارت مسكناً لروح اللّه .

تبدلت الأحوال ، صارت غير المحبوبة محبوبة ، والذين ليسوا شعباً ، صاروا شعب اللّه المقتنى .

١٦ – فيسكن فى البرية الحق ، والعدل فى البستان يقيم .

١٧ – ويكون صنع العدل سلاماً وعمل العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد .

١٨ – ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة .

١٩ – وينزل برد بهبوط الوعر وإلى الحضيض توضع المدينة .

٢٠ – طوباكم أيها الزارعون على كل المياه المسرحون أرجل الثور والحمار .

من الملامح الرئيسية لفعل انسكاب روح الله على البشرية ، وسكناه في هيكل الانسان وجود الحق ، والعدل ، السلام والطمأنينة . وهذه كم افتقر إليها الانسان ، لأن السلام ينتزع بالشرور وكثرة الخطايا « لا سلام قال إلهي للأشرار » .

وعندما تزداد الخطايا ويفقد الانسان سلامه مع الله والناس ، وحتى مع نفسه يباغته الخوف وعدم الطمأنينة والارتعاب ، وتوقع المصائب من كل جانب . حتى يغشى على الانسان من هول ما يتوقعه .

وعلى العكس تماماً حينما انسكب ، حل المسيح القائم من الأموات في وسط تلاميذه – أعطاهم السلام .. « سلامي أترك لكم » وحينما سكب موعد الآب ،

روح الحق عليهم ، ملأهم من كل فهم وكل معرفة وكل حكمة روحية، وصاروا فى سلام الروح وفرح الروح وامتلأوا أثماراً صالحة من محبة وفرح وسلام .

لأن الروح يأخذ مما للمسيح ويعطينا .. ما أحوجنا للإمتلاء به والحياة فيه . وشعبى يسكن فى مساكن السلام وفى محلات مطمئنة ، يهرب الخوف والفزع ، هذه هى مساكن الأبرار ، هذه هى الكنيسة فى واقعها اللذيذ والمشبع للنفس مسكن اللّه (ملك السلام) مع الناس .

حقاً إن العصفور وجد له بيتاً واليمامة عشاً لتضع فيه أفراخها .. (بعيداً جداً عن كل انزعاج) .. **مذابحك يا رب الجنود ملكى وإلهى .. طوبى للسكان فى بيتك .**

بيت اللّه ، ممتلئ من السلام ، بحلول المسيح بجسده ودمه كائن كل يوم على المذبح .

طوبى للسكان فى بيتك يباركونك إلى الأبد ، هكذا يهتف المرنم وهكذا يتنبأ اشعياء ، مطوّباً أولئك الذين حسبوا أهلاً لهذا النصيب الصالح ، الزارعون على كل المياه ، مياه الروح القدس ، مغروسون فى بيت الرب ، وفى ديار بيت الهنا يزهرون ، مثل غروس الزيتون الجدد،

كالأشجار مغروسة على مجارى المياه مطوّبة ومغبوطة، تعطى ثمرها فى حينه الحسن ، وورقها لا ينتثر ، وكل ما يصنع ينجح فيه . كما هو مكتوب فى بداية سفر المزامير .

مجارى الأنهار تفرح مدينة الله ، لقد قدّس العلى مسكنه ، وأولاد اللّه فى زمن الخلاص ، المفديين بدم المسيح ، ينالون سقى الروح القدس المنسكب من العلاء ، صائرين أغصاناً فى الكرمة الحقيقية التى هى شخص الفادى الحبيب .. أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام . كل غصن فىّ يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر .

طوباكم أيها الزراعون على كل مياه ، الزرع الجيد هم بنو الملكوت كما قال الرب .

ليكمل الرب مواعيده العظمى والثمينة لغروس الحق الذين ينهلون بفرح من ينابيع الروح فى كنيسته المقدسة آمين .



اشعياء ٣٣

١ - ويل لك أيها المخرب وأنت لم تخرب وأيها الناهب ولم ينهبوك حين تنتهى من التخريب تخرب ، وحين تفرغ من النهب ينهبونك .

لقد صار ملك آشور آلة فى يد الله استخدمه لتأديب شعوب وتكميل مقاصد الله من نحو دينونة أمم أخرى . فنزل بالعقاب على هؤلاء وأولئك ، يخرب وينهب ويقتل بالسيف بلاد وبلاد . على أنه لا بد أن نفهم لماذا حصل هذا فى القديم وامتلأت الأسفار من مثل هذه الأحداث ..

لقد كانت أناة الله كما هى دائماً ، تنتظر ، وتنتظر ... وكانت الشعوب تتمادى فى غيها وفى جريها بعيداً عن الله، ذاهبة وراء الجسد فى شهوات النجاسة والطمع الذى هو عبادة الأوثان .

وكانت كأس غضب الله تمتلئ قليلاً قليلاً مع توالى السنين وتعاقب الأجيال .. ولما جاء ملء الزمان ، وامتلأت الكأس إلى نهايتها إذا بها تنصب فيض وحمو غضب وانتقام .

فالله قدوس ، وطبيعته القدوسه ضد كل نجاسة ، فلا يحتملها وطول أناة الله ، وسكوته على الشر ، وامهاله ..

ليس معناه أنه لم يأخذ موقفاً ضد الخطايا والفجور ، ولكن المعنى الوحيد هو أن اللّه طويل الروح طويل الأناة . ولكن عندما يحل الوقت يضرب ولا يشفق ، وينتقم ويدين ودينونته عادلة .

وهو فى ذلك ، يؤدب ويدين ، بالوبأ ، والضربات المختلفة ، ومن يقرأ ما هو مكترب فى سفر التثنية (ص٢٨) يعلم يقيناً عقاب الخطايا وثمرة البُعد عن اللّه وعدم حفظ وصاياه . وإن أخذت العقوبة شكلاً جسدياً ملموساً ذلك لأن الانسان فى القديم كان محصوراً فى الجسد .

✥ومن المعروف أن الرب ضمن تأديبه وقصاص الخطايا ، يستخدم سيف الأعداء ليحاصر للفناء ، حتى يأكل الناس الجيف ، وقد قيل أن أيادى النساء الحنائن طبخن أولادهن ، ثم يأتى السيف لينتقم ، فيهلك الشيخ مع الطفل ، والعذراى والشبان معاً ، **إن أجرة الخطية موت** للروح فكم تكون بالنسبة للجسد أيضاً ؟ والعجيب أن الرب فيما يستخدم أسلحة التأديب هذه يستخدمها لغرض رد شعبه عن شرور خطاياه ورجوعه للتوبة . وقد أخطأ ملوك الأمم فهم قصد الرب ومشورته ، فداسوا

الشعوب وخربوا الممالك ، هدموا مدناً حصينة ، وقهروا وقتلوا بحد السيف، وإذ لم يفهموا أن كل ذلك بسماح من اللّه ، وأنهم مجرد آلات لتنفيذ رأيه وقصده الالهى ، حمقوا فى أذهانهم ، وافتكروا فى أنفسهم أنهم ملكوا زمام الدنيا ، فتملكتهم الكبرياء وادعوا العظمة . وإذ دانت لهم شعوب وخضعت لهم ممالك ، ظنوا فى أنفسهم أنهم أقوياء ، بل أنهم آلهة.. ونسوا أن اللّه هو الذى استخدمهم وأخضع لهم الشعوب .

فصاروا يجدفون حتى على الاله الحى ..

هذه القضية تمس كل من أؤتمن على مركز أو سلطان ، فخضعت له نفوس وأجساد الناس ، فيا ليته يتفكر أن كل سلطان هو مرتب من اللّه . وأنه خادم اللّه للصلاح كما كتب الوحى الالهى بفم معلمنا بولس الرسول وأنه منتقم لك من فاعل الشر .. إذ انه لا يحمل السيف عبثاً ، حينئذ ، يدرك الانسان حقيقة نفسه ، أنه بذاته ليس شيئاً . فيتضع فى قلبه ولا يستخدم سلطانه عبثاً . فإذ لم يعرف ملك أشور قصد اللّه ، انزلق إلى الكبرياء ، معتزاً بذاته ، ولكن تأمل قول الرب « **هل تفتخر العصا على الضارب بها ؟ أو تفتخر الفأس على الذى يرددها ؟** » .

وهنا يصيبه هذا الويل الذى سجله الروح ، أنه بعد أن يكمل مطاليب قصد الله وخطته الالهية ، ينال هو ايضاً عقاب خطاياه وكبرياء نفسه . فبعد أن يخرب ، يُخرب هو أيضاً . وبعد أن يكمل النهب سينهبونه هو ايضاً .

٢ – يارب تراءف علينا ، اياك انتظرنا . كن عضدهم فى الغدوات خلاصنا أيضاً فى وقت الشدة .

٣ – من صوت الضجيج هربت الشعوب من ارتفاعك تبددت الأمم .

٤ – ويجنى سلبكم جنى الجراد . كتراكض الجندب يتراكض عليه .

٥ – تعالى الرب لأنه ساكن فى العلاء ، ملأ صهيون حقاً وعدلاً .

٦ – فيكون أمان أوقاتك وفرة خلاص وحكمة ومعرفة . مخافة الرب هى كنزه .

يقوم الله وتتبدد جميع أعدائه ويهرب من قدام وجهه كل مبغضى إسمه . هكذا كان يصلى موسى رئيس الأنبياء مدركاً الخلاص والفرج من قبل الله – بقوة ليست بشرية بل بقوة الله يتبدد العدو كما تهرب الظلمة عند اشراق النور .

وهكذا صرخ اشعياء مصلياً ، **يارب تراءف علينا ، إياك انتظرنا** . وهو بالإيمان فى الحال يدرك كيف أن صوت الرب يطفئ لهيب النار ، صوت الرب بقوة ، صوت الرب بعظيم الجلال كما يقول المزمور . وصوت الرب هو كلمته الأزلى، الذى صار به الخلاص ، إذ **ليس بأحد غيره الخلاص** وإذ ارتفع صوت الرب المخلص تهرب الشعوب ، وإذ ترتفع دراع الرب تتبدد الأمم المجتمعة على شعب اللّه . والسالبين والناهبين يكونون كالحقل الذى ينزل عليه الجراد فيفنيه فى الحال .

والمتأمل فى الأسفار الالهية يدرك دائماً كيف أن أعمال اللّه تنهى عن كل مؤامرة العدو وتبدد قوته وكأنها لم تكن ، **لأنه حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً** ، وعمل النعمة يتفوق على كل تخريب الخطية ويمحو أثرها . تعالى الرب وارتفع جداً ، بقوة الخلاص وذراع المجد كما فى كل جيل ، وكما فى قصص الخلاص التى رسمت بالرموز والأشباه حقيقة الخلاص الأبدى بالصليب والرب إذ ينهض قوته ويعلن ذاته مخلصاً ويبدد قوى الشر يعوّذ فيملأ صهيون حقاً وعدلاً وأماناً ووفرة خلاص وحكمة ومعرفة وكنز الصالحات فى مخافة الرب .

أليست هذه هى ثمار الروح ، وثمار حلول روح اللّه

ليس فى صهيون المادة والجسد ، بل فى صهيون السماوية الكنيسة التى هى أمنا جميعاً ، إذ صنع الرب الخلاص بالصليب سكب علينا بغنى الروح هذا الذى أفاضه من العلاء فملأ الكنيسة من كل حكمة الروح وكل فهم وكل مواعيد اللّه الصادقة الأمينة ، فشكراً للّه على نعمته التى لا يعبر عنها .

يعود اشعياء النبى يصف كيف كان الشر متسلطاً والعدو عاتياً متجبراً ، وكيف أنه أتى على كل شئ ولم يكن شئ يقف فى طريق زحف المخرب . فيقول **هوذا أبطالهم صرخوا خارجاً** . أى اقتربوا إلى الأبواب وصارت أصواتهم مسموعة أى كادوا يفنوننا ، أو كما قيل **انتزع كل رجاء من نجاتنا ، يأسنا من الحياة كان لنا فى أنفسنا حكم الموت .**

قد أدركت جيوش بابل أسوار أورشليم ، وحاصروها بصراخ التجديف على الاله الحى ، وعندما خرج إليهم رجال من أورشليم للتفاوض معهم تكلم معهم ربشاقى رئيس جيش سنحاريب ملك أشور بجفاء وعنف وقسوة وتهديد وعاد الرجال فى حزن وبكاء ومزقوا ثيابهم وبكوا لدى حزقيا ملك يهوذا . ومن ثم أرسل حزقيا الملك إلى

اشعياء يطلب الصلاة بلجاجة إلى الله قائلاً « هذا اليوم يوم شدة وتأديب وإهانة لأن الأجنة دنت إلى المولد ولا قدرة على ولاده فارفع صلاة من أجل البقية » . ولذلك وصفهم اشعياء قائلاً «رسل السلام يبكون بمرارة » . حقاً قال المرنم « مع مبغضى السلام كنت صاحب سلام وحين كنت أكلمهم كانوا يقاتلوننى باطلاً » عبثا نحاول أن نصنع سلاماً مع مملكة بابل أو جيوش سنحاريب لأن من جهتهم لا يقبلون السلام « إذ لا سلام للأشرار قال إلهى » لا موضع للسلام فيهم ، بل هم يغيرون دائماً ويدفعهم الشر دفعاً .

العدو الشيطان كان من البدء قتالاً للناس ، فهل تحاول أن تصنع معه سلاماً أو تدخل معه فى عهد صلح ؟

ولكن المخرج الوحيد هو الخلاص بيد أقوى وذراع أرفع . يظن البعض أن أسلوب التفاهم ونقط التلاقى قد ترضى العدو المتربص بالكنيسة ، أو توقف زحف جيوش الشر من حولنا فيمدون أيديهم نحو العدو من أجل الوفاق أو من أجل السلام . لو كان الأمر كذلك فكيف نفهم المكتوب « لا تتعجبوا يا أخوتى إن كان العالم يبغضكم » ،

« سيكون لكم فى العالم ضيق لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » « تكونون مبغضين من الجمع من أجل إسمى » . ولو كان الأمر كذلك لانتفت حقيقة الحرب الكائنة ضد أولاد الله والعالم الموضوع فى الشرير خاضعاً لروح الظلمة ، ولتصالح النور مع الظلام والحق مع الباطل ، والقداسة مع النجاسة .

ولكن الواقع كما كتبه الرسول بولس **« أية شركة للنور مع الظلام وللمسيح مع بليعال ولأولاد اللّه مع أولاد العالم »** . لذلك قال **لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين .**

✣والعدو فى تقدمه وزحفه نحو التخريب والتدمير لا يعرف الرحمة ولا يوجد فى قلبه شفقة إذ هو غير الرحيم . لذلك ترك وراءه كل شئ وقد تخرب تماماً . وإن تكن الصورة الظاهرة للدمار المادى تبدو مخيفة ، فكم تكون النفوس التى تقع تحت يده ، كيف يجرحها ويخرجها ، ويعريها ويتركها بين حىً وميت !!

والآن تأمل ملامح الخراب فى هذه الآيات .

٨ – خلت السكك ، باد عابر السبيل . نكث العهد . رذل المدن . لم يعتد بإنسان .

٩ - ناحت ذبلت الأرض . خجل لبنان وتلف صار شارون كالبادية . نثر باشان وكرمل .

شئ مخيف حقاً كيف تتحول كل هذه إلى البوار والدمار ... لا رحمة والحالة هذه فلسان حال الأنسان يئن قائلاً ، هل من خلاص ؟

وعينا الانسان تكل إلى النظر إلى أعلا « كلّت عيناى من النظر » ومن الأمور المعزية فى نبوات اشعياء النبى ، أنه ما أن تعتم الرؤيا ويزداد الظلام فى الكلام ويغشى النفس حزن وكآبة قلب بسبب العتمة التى تتلف النفس بسبب كثرة الخطايا وعقابها المرير ، والظلام هكذا حالك وإذ باشراق النور يبدد الظلام للحال ، وشروق شمس البر (النور الحقيقى) يطرد الظلمة طرداً والظلمة لا تدركه .

١٠ - الآن أقوم يقول الرب الآن أصعد الآن أرتفع .

قال المرنم قديماً **استيقظ الرب مثل النائم** يقصد قيامة المسيح للخلاص وقال أيضاً **انهض قوتك وهلم لخلاصنا .** فقيامة المسيح ، هى مجد الخلاص ، هربت الظلمة ، ابتلع الموت ، أنار لنا الحياة والخلود .. هذا هو مجد القيامة ، ولكن تحت الرموز والظلال أن يقوم اللّه ويصعد ويرتفع

كانت تعنى عند الشعب القديم الخلاص المؤقت من جيوش الغزو البابلى جيوش سنحاريب .

أما قدرة الانسان على صنع الخلاص فهذا أمر مستحيل كما يسجل الوحى الالهى ، أن يفتكر الانسان أن يخلص نفسه حتى من الورطات الزمنية فكان هذا بحسب تعبير الوحى ، **تحبلون بحشيش تلدون قشيشاً نفسكم نار تأكلكم . وتصير الشعوب وقود كلس أشواكًا مقطوعة تُحرق بالنار ،** أو كما قال فى موضع آخر **، حبلنا تلوينا ... ولدنا ريحاً ،** فطلقات المخاض الانسانى لم تتمخض عن ميلاد للخلاص ولا رجاء فيها البتة بل هى كل العجز وكل الضعف . لهذا يعلن اللّه عمله الخلاصى مثل نار آكلة ، فأين يقف القش والأشواك . وهذا تعبير صادق عن وضع الانسان الخاطئ فى مواجهة اللّه ، الشوك هو شوك الخطية ، والعشب تعبير عن مجد البشر وزواله **، كل إنسان كعشب وكل مجد الانسان كزهر العشب ،** ، وغنى الانسان أيضاً شبهه الكتاب أنه كزهر العشب يزول .. هكذا يذبل الغنى فى كل طرقه ، فهل يستطيع العشب أو الشوك مواجهة النار الآكلة ؟

فعندما استعلن الرب مخلصاً ومنقذاً ولكن كنار آكلة

فللوقت ارتعب منه الخطاة وارتعدوا في خوف عظيم كرعب العشب من حريق النار .

١٣- اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت واعرفوا أيها القريبون بطشى .

١٤- ارتعب فى صهيون الخطاة أخذت الرعدة المنافقين .

من منا يسكن فى نار آكلة ؟

من منا يسكن فى وقائد أبدية ؟

١٥- السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة ، الراذل مكسب المظالم النافض يده من قبض الرشوة ، الذى يسد أذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر .

١٦- هو فى الأعالى يسكن حصون الصخور ملجأه . يُعطَى خبزه ومياهه مأمونة .

ولكن إن كان يُعبر عن اللّه أنه نار آكلة ، فهذا بالنسبة للشر والأشرار الذين هم كشوك وعشب الأرض ، وليس هكذا يكون بالنسبة لأولاد اللّه . فالنار التى تخيف الشوك وتحرق الشوائب ، لا تخيف الذهب بل تصقله وتصفيه ،

لكى تكون صفوة ايمانكم مختارة كالذهب مع أنه يصفى بالنار ، وما هى الصفات التى متى توفرت يصير الانسان فى حضرة اللّه متجاسراً بثقة وغير خائف خوف البتة ؟

السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة أى السالك بالروح ، روح الحق - روحاً مستقيماً ومحيياً ، المنقاد بروح اللّه ، والسالك بحسب قيادة الروح هذا يكون مغبوطاً ومرضياً ، هذا من الناحية الإيجابية ، أما من الناحية السلبية فهو رذال مكسب المظالم زاهد فى الربح القبيح وغير طامع فى مال العالم نافض يده من قبض الرشوة . لأن الرشوة تعوج القضاء وتلوث الحق . يسد أذنيه عند سمع الدماء والوشاية ودينونة الآخرين ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر .

متى ما عاش الانسان بالروح صار ساكناً فى اللّه ، ساكناً فى الأعالى ، موجوداً أبداً فى حضن القدير ، ساكناً فى ستر العلى ، فى ظل الاله القدير ، حصون الصخور ملجأه (الصخر هو المسيح) .. **جعلت العلى ملجأك فلا تصيبك الشرور ولا تدنو ضربة من مسكنك .**

هذا يعطى خبزه فى حينه الحسن ، يعطيه الرب خبزه ، أي جسده . يشبعه ، يشبع فى الجدوب نفسه

الخبز النازل من السماء خبز الحياة الأبدية ، من يأكله لا يموت **خبز الغد ، خبز الكفاف . خبز كل يوم ، خبزنا الآتي ، الخبز الجوهري** . هذا هو مكافأة الأبرار ، ونصيب الصديقين ، الذين يعيشون فى حضرة اللّه ويسلكون بالروح ويحفظون وصايا الرب .

ومياهه مأمونة :

قوام الحياة الجسدية هو الخبز والماء ، المأكل والمشرب . وقوام الحياة الروحية هو جسد المسيح ودمه الأقدسين ، ومياه الروح القدس الوديع الهادى . ماء الروح ليس فيه انزعاج بل كله سلام وأمان وطمأنينة ، ماء الراحة ، ينبوع الماء الحى ، يجرى من بطن الانسان متى امتلأ به يفيض إلى حياة أبدية ، يأخذ العطاش إلى البر ، فيرتووا ويشربه التائبون فلا يعودوا إلى مياه العالم مرة أخرى « **من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ، أما من يشرب من الماء الذى أنا أعطى فلن يعطش إلى الأبد** » .

هذا ما يهبه الرب للذين يحبونه يعطى جسده خبزاً للأكل ، ويعطى روحه ينبوع ماء ينبع كمثل القديم من الصخرة . فيه الحياة وفيه الشبع والكفاية .

١٧ – الملك ببهائه تنظر عيناك . تريان أرضاً بعيدة .

١٨- قلبك يتذكر الرعب . أين الكاتب أين الجابى أين الذى عد الأبراج ؟

١٩- الشعب الشرس لا ترى الشعب الغامض اللغة عن الإدراك العيى بلسان لا يفهم .

٢٠- انظر صهيون مدينة أعيادنا عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً خيمة لا تنتقل لا تقلع أوتادها إلى الأبد وشئ من أطنابها لا ينقطع.

٢١- بل هناك الرب العزيز لنا مكان أنهار وترع واسعة الشواطئ لا يسير فيها قارب بمقذاف وسفينة عظيمة لا تجتاز فيها .

٢٢- فإن الرب قاضياً ، الرب شارعنا ، الرب ملكنا هو يخلصنا .

إذا ما صنع الرب خلاصه العجيب فلا أثر يعود للشدة ولا تذكار للأوجاع والمخاوف ، يهرب الحزن والتنهد ووجع القلب ، ويتلاشى العدو كدخان من أمام وجه رب الجنود .

أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟

لا تعود العين ترى العدو إذ أسرع للهرب من الخوف الشعب الشرس لا ترى ..

وتعود لصهيون البهجة والفرح ، صوت العريس

وصوت العروس وتعود لصهيون بهجة الأعياد إذ تفرح بالرب ولا مزعج لها . وعيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً .. مسكن اللّه مع الناس خيمة (إجتماع) لا تقلع أوتادها ، أى كنيسة ثابتة . لأنها مؤسسة على صخر الدهور وهذا الوعد ليس لسلام زمنى ولا لهدوء مؤقت بل انهار (إلى الأبد) وشئ من أطنابها لا ينقطع .. لا يجرؤ العدو إلى الاقتراب منها . بل **هناك الرب العزيز لنا ... هو** فرحها وسلامها .. صار المسيح لنا براً وسلاماً ، نعمة وغفراناً للخطايا ..

إن ينبوع العزاء فى الكنيسة هو وجود الرب القادر على كل شئ وروحه الساكن فيها إلى الأبد يتحول إلى أنهار ماء حية ، وترع واسعة الشواطئ .. أنهار ماء لا يمكن عبورها كما شاهدها حزقيال نبى الرؤى .

ولئلا يظن من الكلام أنها أنهار ماء مادية أو ترع بالمعنى الحرفى المعروف فقد استطرد الروح قائلاً « **لا يسير قارب بمقداف وسفينة عظيمة لا تجتاز فيها** » .

إنها مياه الروح القدس الهادى الوديع – ليست مياه بحر هذا العالم المضطرب وأمواجه العاتية ، بل كما أسماه المزمور (ماء الراحة) « **الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ .. إلى ماء الراحة يوردنى** » فلا قارب بمقداف ولا سفينة

عظيمة .. إنها ليست مياه سفر وإنتقال بل هى مياه راحة واستقرار ، مياه وزرع ورى ، شبع وإزدهار .. مياه حياة لحياة .

فإن الرب قاضينا ، الرب شارعنا ، الرب ملكنا هو يخلصنا . وهنا يستعلن شخص ربنا يسوع المسيح استعلاناً غاية فى الوضوح . إذ هو مرسل النعمة وصانع الخلاص . فهو قاضينا ، أى الديان العادل المقتضى من الشر والأشرار ومنجي عبيده الصارخين نحوه وهو شارعنا ، أى واضع شريعة الحياة الجديدة ، والعهد الجديد ، والوصايا الجديدة ، وهو ملكنا إذ قد ملك على خشبة وأنقذ الذين له من عبودية الظلمة وملكوت الظلام ، وهو مخلصنا إذ ليس بأحد غيره الخلاص .

بهذه الصفات يستعلن مسيح الخلاص ملك الملوك ورب الأرباب .

أما الأشرار فلا تقوم لهم قائمة بعد ، إذ بعد قيام اللّه لصنع الخلاص لم يعد للموت سلطان بعد .. هكذا يكرر اشعياء متحدثاً إلى العدو .

✣ارتخت حبالك ، لا يشددون قاعدة ساريتهم ، لا ينشرون قلعاً .

ومن ثم فإن أولاد الله يكونون كمن يقسم الغنائم التى حصلوا عليها دون أن يتعبوا فيها ولا استردوها أو حازوها بسيف أو برمح أو بذراع بشر .

بل كما قال الرب يسوع « **إذا تسلح القوى يحفظ داره فى أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه ينزع سلاحه المتكل عليه ويوزع غنائمه** » . هكذا تماماً نطق اشعياء قائلاً .

✤ **حينئذ قَسِمَ سلب غنيمة كثيرة ، العرج نهبوا نهبًا** حتى المعوقين الذين لا يستطيعون الحركة ولا يقدرون على الجرى .. حتى هؤلاء صار لهم نصيب ، يستطيعون أن يأخذوا من فيض السبى الذى سبى ومن وفرة الخيرات التى اقتناها المخلص حين سبى سبياً وأعطى الناس كرامات ..

ولا يوجد فى كنيسة المسيح من يعتفى من الأخذ إذ صارت العطايا فى متناول كل واحد حتى الصغار والضعافى والعرج والعمى صار لهم ميراث وغنى فى المسيح فلا يقول أحد لا أقدر .

✤ **ولا يقول ساكن أنا مرضت** . وفى جملة أخيرة يسطر الوحى فعل المسيح الخلاصى فى المفديين وساكنى ديار الرب قائلاً .

الشعب الساكن فيها مغفور الاثم .

اشعياء ٣٤

فى هذا الاصحاح يشرح الوحى بتفصيل عمل الدينونة وانتقام الله فى الأمم الذين داسوا شعبه ومدينته المحبوبة وموضع مسكن مجده . ويبرز قوة جبروت الاله القادر على كل شئ وكيف يقتص من الخطاة قصاصاً رهيباً وفى ثنايا الحديث تستطيع أن تدرك سر الخلاص الأبدى بالصليب ، الذى فيه وبه ، جرد الرئاسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه إذ محا الصك الذى كان علينا . وكيف هتك قوات الظلمة وسحق الشيطان وداس الموت بموته فإن كانت الكلمات تخص الخلاص الوقتى الزمنى فهى بالحرى تبنئ بقوة الخلاص الأبدى الذى صنعه الرب يسوع المسيح بالصليب .

✠اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها . فإن كان الرب ينادى كل الشعوب والأمم والألسنة لتسمع وتصغى وتتأمل أعمال الدينونة هذه ، فهى إذن ليست حدثاً زمنياً يختص بمكان محدود مثل الخلاص الوقتى لأورشليم من يد جيش سنحاريب . بل أن الموضوع يتخطى الزمن والمكان .. لدينونة الخطية والخطأة التى ملكت على الجميع وسلطان الظلمة العامل فى كل الأمم .

✥لأن للرب سخطاً على كل الأمم وحموا على كل جيشهم قد حرمهم دفعهم إلى الذبح فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم ويفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة .

فيما يتكلم عن الدينونة ، أشار الروح إلى كمال الدينونة فى مجئ الرب الثانى حيث تزول السماوات والأرض ، تنحل العناصر محترقة بضجيج ، وقوات السماوات تتزعزع والنجوم تتساقط من السماء .

وعلى كل حال فإن كل دينونة مهما كانت زمنية أو وقتية فإنها تحمل فى طياتها صورة وظل للدينونة العتيدة . وأى عقاب للخطاة فهو يشير بطريقة ما إلى العقاب الأبدى .

✥لأنه قد روى فى السموات سيفى ، هوذا على أدوم وعلى شعب للدينونة . للرب سيف قد امتلأ دماً أطلى بشحم بدم خراف وتيوس بشحم كلى كباش لأن للرب ذبيحة فى بصره وذبحاً عظيماً فى أرض أدوم . ويسقط البقر الوحشى معها والعجول مع الثيران وتروى أرضهم من الدم وترابهم من الشحم يسمن لأن للرب يوم انتقام . سنة جزاء من أجل دعوى صهيون .

سيف الرب ليس سيفاً مادياً ، فهو إذ يهز يده القوية للعقاب والدينونة تذوب أمامه الجبال كالشمع ، تذكر كيف هز يده على مصر ؟

وكيف رأى داود ملاك الرب ممسكاً بسيف ، ورفع **داود عينه فرأى ملاك الرب واقفاً بين الأرض والسماء وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم فسقط داود والشيوخ على وجوههم ، .. وفى يومها ، سقط من اسرائيل سبعون ألف رجل ،** ثم إذ ندم الرب على الشر قال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك ،...، وأمر الرب الملاك فرد سيفه إلى غمده ولم يستطع داود أن يذهب إلى أمامه ليسأل الله لأنه خاف من جهه سيف ملاك الرب (١أخ ٢١) فهو إذن ليس سيف مادى ولكنه تعبير عن قوة فائقة وقدرة لا نهائية ، فهل يقف الشر أو الأشرار مهما تجبروا أمام سيف الرب ؟ الا تذكر يوم مديان .. حين صرخوا كتسبيح وقالوا سيف للرب ولجدعون ؟ حين خلص الرب بالقليل ؟

لقد شبه الرب يسوع يوم الدينونة الأخيرة بمثل قال فيه أن الملك حين يرجع ويأخذ ملكه ، يأتى أمامه بالذين لم يريدوه أن يملك عليهم ويقول اذبحوهم قدامى ..

لذلك قال الرب فى كلمات هذه النبوة أن للرب ذبيحة فى بصره وذبحاً عظيماً فى أرض أدوم لأنهم صاروا أعداء للّه، وخصومه .

على أنه هناك سيف آخر مخيف للشياطين وكل قوات الظلمة هو سيف الروح الذى هو كلام اللّه ، إذ رآه يوحنا الحبيب فى رؤياه أن سيفاً ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه (رؤ: ١) وشهد مار بولس الرسول عن كلمة اللّه « أنها حية وفعاله وأمضى من كل سيف ذى حدين » (عب: ٤) فإن كان السيف المادى يعمل فى القتل وسفك الدم ، والانتقام من الأشرار ففعل الكلمة الروحى يكون قاطعاً بفعل الالهى رهيب للإنهاء على الشر وطرد الظلمة من القلب والعقل والفكر .

لأن للرب يوم انتقام وسنة جزاء من أجل دعوى صهيون . كل هذه وأكثر منها يعملها الرب من أجل دعوى صهيون، مدينة اللّه المحبوبة ، من أجل نفوس أبراره ومحبة وشعبه الحافظين وصاياه والمترجية رحمته ، من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية والدينونة هى جزاء عادل من الديان العادل يكرم الذين يكرمونه والذين يحتقرونه يصغرون . يجازى كل واحد حسبما يكون عمله .

✣ وتتحول أنهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً لا تنطفئ إلى الأبد يصعد دخانها .

ما اشبه اليوم بالأمس ، إذ ما تأملنا فى افعال الدينونة ، وما أصدق الكلمة التى قيلت عن دينونة اليوم الأخير أن نارهم لا تطفأ ودودهم لا يموت . فبالأمس كان إنقلاب سدوم ، وصعد دخانها ، إذ امطر اللّه عليها ناراً وكبريتاً .. فكابدت عقاب نار هى ظل للنار الأبدية .

واليوم يتحدث اشعياء عن بابل التى هى رمز لملكة إبليس عدو الخير ، أنه يوم يعاقبها من أجل دعوى صهيون فإن انهاره تتحول زفتاً وترابها كبريتاً ، وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً .

ما أعجب أحكام اللّه وما ابعدها عن الفحص ، وما أقسى درس الدينونة إذ يصير على النفوس شعوب وأمم تمادت فى الشر وذهبت فى غيها وكبريائها بعيده عن اللّه .

كم يكون يوم الدينونة فى شدة القسوة ، ويا ليت كل من يتذكرها يعتبر ويعمل حساب ذلك اليوم وتلك الساعة المخوفة لأنه ليس رحمة لمن لم يعمل الرحمة .

١٠- من دور إلى دور تخرب إلى أبد الأبدين لا يكون من يجتاز فيها .

١١- ويرثها القوق والقنفذ والكركى والغراب يسكنان فيها ويمد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء .

١٢- أشرافها ليس هناك من يدعونه للملك وكل رؤسائها يكونون عدماً .

١٣- ويطلع فى قصورها الشوك القريص والعوسج فى حصونها فتكون مسكناً للذئاب وداراً لبنات النعام .

١٤- وتلاقى وحوش القفر بنات آوى ومعز الوحش يدعو صاحبه . هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً .

١٥- هناك تحجر النكازة وتبيض وتفرخ وتربى تحت ظلها وهناك تجتمع الشواهين بعضها ببعض .

هذه ملامح الخراب التى أنبأ بها الروح من جهة مملكة بابل ، والتى تشير إلى دينونة ملكوت إبليس بوجه العموم . وكل ما هو مادى له بالضرورة مقابل أبدى أكثر عمقاً وأعمق أثراً ، بقدر ما ترتفع الروح عن المادة وبقدر ما تختلف الأبديات عن الزمنيات .

وأنت ترى كيف صارت المدينة خراباً لا يسكن . وقفراً مخيفاً بعد أن كانت تفتخر بكثرة بهائها الزمنى وثروتها

وقصورها ورؤسائها وملوكها وجيشها وحصونها .. انظر أين ذهبت كل هذه ؟

بل إن الطيور المعتبرة نجسة مثل الكركى والغراب والقوق والحيوانات المعتبرة أيضاً نجسة مثل القنفذ والذئاب وبنات آوى ومعز الوحش صارت ترعى فيها . والشوك والعوسج نتاج الخطية الأولى صارت تطلع فى القصور والحصون المهجورة .

وما أرهب العبارة التى نطق بها الوحى عليها قائلاً **«هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً»** .

لأنه لا نور ولا إشراق ، إذ قد صرف الرب وجهه عنها معاقباً إياها ، فاستقر فيها الليل روح الظلمة الذى يجد لنفسه فى القفر والخراب مستقراً دائماً !!

صورة كئيبة ومحزنة ، غطت بصمات الخراب كل نواحيها . أخيراً يقول هناك تجتمع الشواهين (أى النسور) . لتشبع من الجيف فى هذا الخراب الموحش . صورة عجيبة يضعها الوحى بتفصيل للدمار التى إستحقته مدينة الدماء من يعزى المرنم الذى انتظر يوم الجزاء هذا وهو بعد فى الأسر حزين يذكر أورشليم فى أيام سبيها ويقول **« إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى ..** ويتوسل إلى الله قائلاً **اذكر يارب بنى أدوم فى يوم**

أورشليم ، الذين كانوا يهدمونها ويقولون بشماته انقضوا انقضوا حتى الأساس منها ..

ويقول المرنم فى أسى ولكن برجاء الخلاص « **يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يكافئك مكافاتك التى جازيتنا .. طوبى لمن يمسك أطفالك ويدفنهم عند الصخرة** . (المسيح) متمنياً اليوم الذى ينظر فيه بنت بابل الشقية مملكة الشر والأشرار وإذ هى معاقبة مدوسة ، مهدومة تجنى ثمر الشر وتكافأ بالخراب عوض ما صنعت بصهيون .

لقد جاءت هذه النبوات عن خراب بابل مثل بلسم ومرهم للنفوس المجروحة التى كلما تذكرت أو سمعت عن أورشليم وأبوابها محروقة بالنار وهى مهدمة .. كلما تذكرت بكت وناحت مثل نحميا ، وجميع النفوس الغيورة .

إن نهاية الشر وانكسار قوته وسلطانه فى يوم الدينونة هو أكبر عزاء للمفديين وبالأكثر للنفوس التى تحت المذبح التى تصرخ وتقول « **إلى متى أيها السيد والقدوس لا تنتقم لدمائنا؟** » .

١٦- فتشوا فى سفر الرب واقرأوا . واحدة من هذه لا تفقد لا يغادر شئ صاحبه لأن فمه هو قد أمر وروحه هو جمعها .

١٧- وهو قد ألقى لها قرعة ويده قسمتها لها بالخيط إلى الأبد ترثها إلى دور فدور تسكن فيها .

أما من جهة تحقيق النبوات وكمال مواعيد اللّه فى وقتها المعيَّن فهذا أمر لا يحتاج إلى دليل ، وأن أعوز الناس الدليل لسبب قلة الإيمان أو عدم المعرفة ، أو النسيان ، أو الشكوك التى كثيراً ما تساور الناس من كل جهة ، فإن يكن هذا أو ذاك ، فالسبيل إلى التحقق من مواعيد اللّه هو الرجوع إلى الأسفار وقراءتها ، كما قال الرب **فتشوا الكتب التى تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى تشهد لى** . فإنه بالتحقيق يجد الانسان أن السماء والأرض تزولان ولكن كلام اللّه ومواعيده لا يزول ولا ينقض . فكل ما قال فعل، وكل ما وعد به فهو صادق وأمين ، ولا يعوزنا سوى انتظار تحقيق مواعيد اللّه .

أما من جهة ما قاله عن مملكة بابل وخرابها ، فيعود الروح يؤكد أن اللّه جلّت قدرته قضى بهذا . فلا يمكن أن ينقض حرف أو كلمة لأن فمه الالهى قد أمر ، بكلمته القادرة على كل شئ ، قد أمر القوق والقنفذ والكركى

والغراب ، والذئاب والنعام وبنات آوى ومعز الوحش .. وباقى الوحوش سكان الأماكن الخربة أمرها أن ترث أرض بابل بعدما تخرب ، وهى كخليقة خاضعة لصانع الكون لا تملك سوى الطاعة والخضوع .

لذلك يقول اشعياء **لأن فمه هو قد أمر ، وروحها جمعها وهو قد ألقى لها قرعة ويده قسمتها لها بالخيط إلى الأبد ترثها .**

تذكر كيف أمر الرب فى القديم فى أيام نوح ، كيف أمر حيوان البر وكل الدواب أن تدخل الفلك فأطاعته ؟

لقد حكم الرب على مملكة بابل ، وأمر كل الجوارح أن تسكن فيها وترث أرضها وهذا لا بد أن يكون لا يسقط منه شئ لأن فم الرب تكلم .

لا ٢٦ : ٦

إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها أعطى مطركم فى حينه وتعطى الأرض غلتها وتعطى أشجار الحقل أثمارها ...

٦. – وأجعل سلاماً فى الأرض فتنامون وليس من يزعجكم وأبيد الوحوش الردية من الأرض ولا يعبر سيف فى أرضكم .

نفس الآيات بالحرف وردت فى ٥١ عدد ١١ .

اشـعياء ٣٥

تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس يزهر ازهاراً ويبتهج ابتهاجاً ويرنم . يدفع إليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون هم يرون مجد الرب بهاء الهنا .

شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هوذا إلهكم . الانتقام يأتى . جزاء الله . هو يأتى ويخلصكم حينئذ تنفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالايل ، ويترنم لسان الأخرس . لأنه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهار فى القفر ، ويصير السراب أجماً والمعطشة ينابيع ماء فى مسكن الذئاب فى مربضها دار للقصب والبردى .

وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس بل هى لهم . من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل . لا يكون هناك أسد . وحش مفترس لا يصعد إليها . لا يوجد هناك بل يسلك المفديون فيها .

ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد .

على قدر ما عتمت الصورة فى بابل المعاقبة فى الاصحاح السابق إذ جاءت يد الرب عليها فأدركها الغضب المخيف ، هكذا على النقيض أشرقت صورة صهيون - مدينة اللّه - وكنيسة المفديين والمنفكين من ربط الخطايا .. نور وبهاء ومجد وفرح وترنم أبدى وهكذا كأنما بصبرها تعرف الأشياء . فالذى يرى المرضى على الأسرة ويسمع أنين الوجع لا يستطيع أن يقدر قيمة الصحة . والذى يعاين قسوة الموت وانحسار الحياة من جسد الانسان يمجد واهب الحياة .

والذى يسير فى ظلمة مخيفة وتكتنفه المخاطر والمخاوف من كل جانب كم يفرح بالنهار ويمجد النور عند إشراقه . هكذا إذ نرى بابل وقد صارت قفراً خرباً ، ملآن من البوم والكركى والحيات السامة وكل حيوان مخيف . نرجع ونلتفت إلى صهيون تتمتع بالفداء وتنعم بالسلام . والمتأمل فى كلمات الاصحاح ٣٥ ، تنتشى نفسه بنشوة عجيبة من فرط إحسان اللّه والفرح الروحى الذى سبق اشعياء السنين ليخبر به أولئك الذين استحقوا أن ينالوا نعمة الخلاص في المسيح يسوع .

١ - تفرح البرية والأرض اليابسة ، ويبتهج القفر

ويزهر كالنرجس يزهر أزهاراً ويبتهج ابتهاجاً بترنم .

إن البشرية كلها اعتبرت كبرية قفر ، وكأرض قاحلة إذ لم تستطع أن تثمر للروح ولا أن تعيش لله .

ومن جهة أخرى اعتبر الروح البشرية كشجرة مائتة جفت أغصانها وعدمت الحياة .

وعندما صار الكلمة جسداً ، قال النبى أنه نبت كفرخ وكعرق فى أرض يابسة من جزع البشرية المعتبرة ميتة نبت قضيب من جزع يسى وكفرع من أصوله نما بدون زرع بشر ...

ومن عذراء لم تعرف رجلاً . وهكذا بالمسيح أنبتت الأرض اليابسة والقفر الموحش طلع فيه غصن البر كما أسماه ارميا النبى . إذن من أين الفرح ؟ والابتهاج للقفر ، سوى من هذا النبت العجيب ؟

ويعبر عنه اشعياء أن القفر والبرية والأرض اليابسة «هم يرون مجد الرب» .. إذن هو إشراق مجد الرب الذى أشرق جسدياً من العذراء ، وصار جسداً ورأينا مجده كما قال القديس يوحنا الانجيلى . أليس هو شمس البر ، الذى قال فيه ملاخى «لكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها !» . أما إن أردت أن تدرك بالروح

مجد لبنان وبهاء الكرمل وشارون فاسأل عروس النشيد فتخبرك عن أسرارها ، كيف أزهرت كالسوسن كيف تحولت رائحتها ..... فاشتم فيها عريسها الذى اقتناها بدمه رائحة القداسة والمحبة وكل ثمر الروح !!

أما عن نعمة الخلاص وقوة روح المسيح ، كيف أدركت الانسان العاجز الساقط فأقامته وتغلغلت إلى مفارق نفسه وأقامته لا من العجز والمرض بل من الموت ، فهذا ما يشرحه النبى الانجيلى شرحاً مستفيضاً فى كلمات قليلة حملها الروح ببشرى الخلاص على قدر ما استطاعت الكلمات من إحتمال . وأنت حين تقف أمام هذه الآيات تدرك كيف عاش اشعياء وكأنه معاصراً لزمن الخلاص ، وكأنه حين فتح المسيح عيون العمى كان اشعياء حاضراً ، وحينما شفى المجنون الأعمى الأخرس كان اشعياء معايناً ، يا للعجب من هذا النبى الانجيلى .

شددوا .. قوموا .. قولوا

المسيح المخلص يأمر تلاميذه الأطهار ورسله القديسين .

✥ شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها . بدأ اشعياء بالأيادى والركب لقد استرخت أيدى

البشرية وارتعشت الركب فلم تعد تحمل ولا تحتمل فإن كان المسيح قد صنع هذا الاحسان فعلاً إلى عدد لا حصر له مثل الرجل ذو اليد اليابسة ، والمفلوجين والمصروعين والمشلولين بالأيادى والأرجل ، وهذا واضح على مدى مدة خدمة المسيح ، وما بعدها حتى يوم ظهوره لأنه حين شفى مريض بركة بيت حسدا المشلول لمدة ٣٨ سنة ، يومها قال المسيح **أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل** . بعدها استطرد بولس الرسول يوصى العبرانيين مقتبساً كلمات اشعياء النبى وروحه قائلاً **« قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة حتى لا يعستف الأعرج بل بالحرى يبرأ »** فلم يعد شفاء اليد المسترخية والركب المرتعشة أمراً خارجياً يخص الجسد ولكن بالأكثر يجتاز فيشفى الأرواح ويصحح عاهات النفوس التى شلت الخطية حركتها وشوهت صورة جمالها .

✥ وقد امتد زمن الخلاص بذات القوة والفاعلية ويكفى أن تتأمل كيف صار إسم المسيح المخلص سبب خلاص للأعرج المولود من بطن أمه حين قال له القديس بطرس الرسول .

شددوا .. ثبتوا .. قولوا .

المسيح المبارك ، صانع الخلاص ، أرسل تلاميذه القديسين ورسله الأطهار ، ونفخ فى وجوههم وقال **اقبلوا الروح القدس** ، وأعطاهم سلطاناً على الأمراض والأرواح النجسة . وقال لهم **كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا** .

وفى مطلع الجزء الثانى من نبوات اشعياء النبى قال **عزوا عزوا شعبى طيبوا قلب أورشليم ونادوها أن جهادها قد كمل وأن إثمها قد عفى عنه أنها قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها** ، اش ٤٠ : ١ .

وهذه الآيات مكتوبة فى الترجمة السبعينية ، وفى الترجمة الكاثوليكية الحديثة هكذا ، **عزوا عزوا شعبى ، قال الرب للكهنة** ، هذا هو عمل الرسل وارساليتهم ، وهذا هو عمل من ائتمنهم الروح على رعاية رعية المسيح فى كل زمان وفى كل مكان فى كنيسته المقدسة .

كذلك قيل هنا ، شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها ، وهذا قول الرب وسلطانه للرسل الأطهار وخلفائهم فى كنيسته الذين أوكل إليهم السلطان قائلاً **اشفوا مرضى اخرجوا شياطين** . وحينما أقام لعازر من الموت قال لهم **حلوه ودعوه يمضى** . فحلوه من رباطات الموت لأنه أعطى لهم أن يحلوا ويربطوا كل رباطات

الظلم ، « ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السموات وما ربطموه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات » .

« لا فضة لى ولا ذهب ولكن الذى لى إياك أعطيه بإسم يسوع المسيح قم وامشِ ، وأمسكه بيده اليمنى وأقامه » .
ولم تزل كلمة الرب وقدرته عاملة فى الكنيسة وستظل إلى يوم ظهور المسيح ومجئ ملكوته .. إذ استودع الكنيسة سلطانه الألهى قائلاً « اشفوا مرضى اخرجوا شياطين طهروا برص أقيموا موتى .. » .

٢- قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا .. هوذا الهكم الانتقام يأتى جزاء اللّه . هو يأتى ويخلصكم .

الخوف هو الثمرة الأولى للخطية وهو يكمن وراء كل خطية .. وفى القديم كانت البشرية ساقطة تحت نير الخوف .. الخوف من كل شئ وبسبب هذا الخوف قضوا كل أيام حياتهم تحت العبودية كما كتب الرسول بولس فى العبرانيين ، قائلاً « أن يسوع المسيح مخلصنا جاء لكى يخلص ويعتق أولئك الذين كانوا كل أيام حياتهم تحت العبودية بسبب الخوف » فجاء وبشركم بالسلام أنتم القريبين والبعيدين ... لأنه هو سلامنا .

وأولى ثمرات الخلاص بقيامة يسوع من الأموات كانت عطية السلام ؛ سلام لكم ؛ وهكذا أرسل الرب رسله الأطهار قائلاً أى بيت دخلتموه قولوا «السلام لكم ، وهذا ينزع الخوف ، قولوا لخائفى القلوب تشددوا ... البسوا سلاح اللّه الكامل منطقوا على أحقاء ذهنكم صاحين ، لا تخف أيها القطيع الصغير .

والحياة بالمسيح فى زمن الخلاص ، هى حياة السلام والطمأنينة والثقة ، بل فرح ومحبة لا خوف فى المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج . يكفى أن تسمع من فم المسيح « أنا هو لا تخافوا » .

حينئذ تنفتح عيون العمى

وآذان الصم تنفتح

حينئذ يقفز الأعرج كالايل

ويترنم لسان الأخرس – مت ١٥ : ٢٦ – ٢٩ :

يعود اشعياء ويكشف كيف اقتحمت قوة الخلاص حواس الانسان وأعضاءه بعد الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ، والقلب الخائف ، تأتى عيون العميان وآذان الصم وأرجل العرج ولسان الخرس ...

حقاً قال القديس بولس فى رسالته إلى أهل رومية ..

كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والاثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة . (رو ٦ : ١٩) أى أن هذه الأعضاء كانت مبيعة تحت الخطية ، مستعبدة للفساد وحينما ادركتها قوة الخلاص تحولت إلى آلات بر وأعضاء للمسيح ، **أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية حاشا نحن الذين متنا عن الخطية كيف نحيا فيها بعد** . إذن آيات الشفاء هذه هى فى حقيقتها فك قيود الشر ، واطلاق أعضاء كانت أسيرة الخطايا . وعودة الصحة إليهما هو استعادة صورتها الأولى ، وطبيعتها الأولى وقوتها الأولى إذ هى مخلوقة أصلاً بغير فساد على صورة خالقها وهذه الآيات أيضاً تكشف عن شخص المسيح وتقود إلى الإيمان به رباً ومسيحاً وفادياً ومخلصاً كما قال لتلميذى يوحنا المعمدان « **إذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فى** » متى ١١ لقد صنع الرب إحساناً إلى ألوف ألوف ، شافياً الأمراض ومقيماً من الموت، **وآيات أخرى كثيرة صنعها يسوع لو كتبت واحدة فواحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة** . وهكذا استعلن المسيا المخلص بإسم

الخلاص وقوة الخلاص وأيات الخلاص هذه . **إذ ليس بأحد غيره الخلاص وليس اسم أخر تحت السماء أعطى بين الناس به نستطيع أن يخلص إلا إسم يسوع .**

وذات القوة استودعها ربنا كنيسته وها هي شاهدة له في كل أيام غربتها على الأرض وهي تجدد بالروح القدس كل من يقترب ليولد منها ، وحين تختم الكنيسة على أعضاء الانسان بخاتم الروح القدس في سر الميرون المقدس تكون في الواقع الروحي تمارس سلطان المسيح بالروح القدس فتنفتح العين والأذن وينفك اللسان ويمتلئ القلب بالسلام بل أن الانسان بجملته يصير هيكلاً ومكسناً لله في الروح.

✥ لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر ويصير السراب أجما والمعطشة ينابيع ماء في مسكن الذئاب في مربطها دار للقصب والبردي الرئيسي .

إن السبب في تفتيح عيون العمي وآذان الصم ، وشفاء الأعرج وترنم الأخرس هو انفجار مياه الروح القدس وحلوله على بشريتنا في يوم الخمسين . وهذا التحول خطير في تاريخ البشرية كلها . وحين قبلت هذا الروح الناري دخلت مع الله عهداً جديداً من الغنى والشبع

والارتواء والتعبير (**انفجرت في البرية مياه**) يشير إلى قوة عمل الروح واندفاق أنهاره في داخل النفس كما قال الرب للسامرية « **الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية** » وكما قال أيضاً « **من آمن به ، كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حية .. قال هذا عن الروح القدس** » .

السراب هو ما يتخيله الماشى فى الصحراء أنه ماء فيجرى وراءه ولكنه ليس ماء حقيقى بل مجرد انعكاسات للضوء ، فكلما سعى الانسان فى السير إليه كلما ابتعد هذا المنظر . عنه وهكذا فالروح يقول أن بمجئ الرب يسوع وحلول روحه القدوس فإن ما كان فى حكم الخيال بالنسبة للإنسان صار واقعاً ملموساً .

لقد تحققت أحلام البشر وأشواق القديسين منهم ، فقول النبى يارب طأطئ السموات وانزل وهذا كان معتبراً كأنه خيال .. هذا صار واقعاً ملموساً وشوق الأنبياء وعطشهم إلى الخلاص ونظرهم إلى المواعيد من بعيد . والذى كان معتبراً أنه سراب صار حقاً وحقيقة .

فى مسكن الذئاب وفى مربضها دار للقصب والبردى .
الذئاب لا تسكن سوى الخرب الموحشة والأماكن القفرة ، حيث لا ساكن سواها.. وما أن تهب رياح التغير حتى

تصيب كل شئ ، فالروح المنسكب من العلاء ، ومياهه الخالقة العاملة الخصب ، تأتى حتى على الأماكن المعتبرة مساكن الذئاب . والذئاب الخاطفة تشير إلى العدو الشرير ، وزمن المسيا ، زمن الخلاص هو الذى فيه يسكن الذئب مع الخروف ولا يستطيع أن يؤذيه بسبب قوة الراعى الصالح الذى قال **هأنذا أرسلكم كحملان وسط ذئاب .. فلا تخف أيها القطيع الصغير** ، ففى معقل الذئاب .. سينمو القصب ، والبردى وكلاهما نباتات تحتاج إلى كثرة مياه غزيرة للنمو ، وهذا يعنى أن سقى الروح حينما يقتحم حتى مساكن الذئاب ، سيخصب ويكثر ويزيد الثمر لحساب ملكوت المسيح ككثافة نمو القصب والبردى . ومن الرموز التى تلفت النظر أن أوراق البردى هى أوراق الكتابة والمعرفة الروحية التى يتعهدها الروح وينميها فى عهد النعمة بالمسيح يسوع .

✥ وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريقة المقدسة . لا يعبر فيها نجس بل هى لهم . من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل لا يكون هناك أسد . وحش مفترس لا يصعد إليها . لا يوجد هناك بل يسلك المفديون فيها .

طريق مقدسة :

الطريق هو المسيح له المجد « **أنا هو الطريق** » .

وقد دعى المسيحيون « أصحاب الطريق » .

وهكذا قيل عن المجدفين « شاتمين الطريق » .

وهذا الطريق وهو الطريق المقدس ، وصف أنه طريق كرب « ضيق هو الباب وكرب هو الطريق المؤدى إلى الحياة » .

ذلك، لأن طريق الجسد واسع للجسديين ، ورحبا جداً للسائرين فى أهواء الجسد ووراء شهواته ولكنه يؤدى حتماً للهلاك وقيل فى الأمثال « توجد طريق تبدو للانسان مستقيمة وفى عاقبتها طرق الموت » .

أما طريق ربنا يسوع المسيح فهو ذاته والاتحاد به والثبات فيه ، فالمسيح لم يدل الناس للطريق إلى الملكوت بل أعلن ذاته أنه هو الطريق .. لذلك شهد القديس بولس الرسول قائلاً عنه « طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده » عب ١٠ فهو بنزوله إلى حقارتنا بتجسده أصعدنا إلى علوه بالنعمة . وهذا الطريق هو الملكوت عينه ، السائرين فيه هم بنو الملكوت . لذلك قال إشعياء لا يعبر فيها نجس . وليس للعدو الشيطان قدرة ولا سلطان .. إذ قد سحق الرب بالصليب لا يكون هناك أسد ، « إبليس عدوكم يجول كأسد .. قاوموه راسخين فى الإيمان .. قاوموا إبليس فيهرب منكم » أنه كأسد ولكن

ضعيف يهرب كمغلوب . ومن أبدع ما وصف الروح طريق الحياة الأبدية وطريق الخلاص هذا القول العجيب : **من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل** . **حقاً اختار الله جهال هذا العالم ليخزى بهم الحكماء** . كيف يضل من يتحد بالمسيح الطريق ؟ أو كيف يضل من يسير فى طريق المسيح ؟

قال الروح قديماً بفم المرنم : **أعلمك أرشدك الطريق التى تسلكها أنصحك ، عينى عليك** ، فالروح هو الذى يرشد السالكين ، ويحكمهم للخلاص فمهما كان جهلنا أو فقرنا أو عدم معرفتنا أو مسكنتنا ، فمجرد السير فى الطريق يضمن للنفس أنها لا تضل . بل تصل بالنعمة إلى ميناء الخلاص . يكفى أن تتأمل كيف اختار الرب أصفياءه الرسل ؟

بسطاء فى كل شئ ، ولكن صاروا معلمى المسكونة وأساسات السماء ليس المطلوب من النفس التى وجدت الطريق سوى أن تجدّ فى السير فيه حتى تبلغ الجعالة فتحظى بالملكوت .

يسلك المفديون فيها . هى لهم ، أى ملكهم وهم مفديون بدم الحمل ، دم المسيح الذى فدانا . إذ مات عوضاً عن الخطاة ، البار من أجل الأثمة وهم مفديو الرب ، أى أنه هو

الذى فداهم بذاته وخلصهم لنفسه واقتناهم بصليبه . مفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون . يرجعون من سبيهم ، **إذا ما رد الرب سبى صهيون صرنا مثل المتعزين** . يرجعون بالتوبة مثل الابن الضال ، **أقوم وأرجع إلى أبى** ، ويرجعون بفرح ، **حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً إذ قد عظم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين** . والفرح بالرجوع والتوبة ، فرح سماوى . **السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب** . وفرح كما بقيامة الأموات ، **ينبغى لنا أن نفرح لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجدناه** ،.

✤ بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم . ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد . فرح الخلاص فرح فوقانى ، ليس من هذه الخليقة ولا يعرفه العالم . لذلك قال فرح أبدى على رؤوسهم .

أى نازل من فوق . ومن ملامح فرح الخلاص هذا أنه يدرك الانسان ويشرق عليه أى **ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم** .

قال الرب يسوع لتلاميذه عن فرح قيامته ، **أراكم فتفرح قلوبكم ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم منكم** ، . لم يكن جهد التلاميذ وسعيهم لادراك القيامة ، بل هو

الذى ظهر لهم وتطلع على مسكنتهم ، كإشراق الشمس ، شمس البر والشفاء فى أجنحتها .

وعندما تشرق الشمس ، تتبدد الظلمة لا محالة ، إذ لا تستطيع أن تبقى أو تدوم ، هذا أمر طبيعى . لذلك قال الروح « يهرب الحزن والتنهد ، هذه هى آية القيامة والفرح حيث يوجد المسيح قائم فى وسط الكنيسة وهى ملكوته الذى نقول عنه دائماً « الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد فى نور قديسيك » .



اشـــعياء ٣٦

١- كـان فى الـسنة الـرابعـة عـشـر للـملك حـزقـيـا أن سنحاريب ملك آشور صعد علـى كل مدن يهوذا الحصينة وأخذها .

٢- أرسل ملك آشور ربشاقى من لاخيش إلى أورشليم إلى الملك حـزقيـا بـجـيش عظـيم فـوقف عـنـد قناة الـبركـة العليا فى طريق حقل القصار .

٣- فـخـرج إليـه أليـاقـيم بن حلـقيـا الذى عـلـى الـبـيت وشبنه الكاتب ويوآخ بن آساف المسجل .

٤- فقـال لهم ربشاقـى قولوا لحزقـيا . هكذا يقـول الملك العظيم ملك آشور . ما هو هـذا الاتكال الذى اتكلته ؟

٥- أقـــول إنمـا كـــلام الـشـفـتـين هـو مـشـورة وبـأس للحرب . والآن على من اتكلت حتى عصيت على ؟

٦- أنـــك قـــد اتـكـلـت عـلـى عـكـاز هـذه الـقـصـبـة المرضوضة ، على مصر التى إذا توكأ أحـد عليها دخلت فى كفـه وثقبتـها . هكذا فرعـون ملك مصـر لجميع المتـوكلين عليه .

٧- وإذ قلـت لـى . على الـرب الهنـا اتكلـنا . أفليـس هو

الذى أزال حزقيا مرتفعاته ومذابحه وقال ليهوذا ولأورشليم أمام هذا المذبح تسجدون .

٨- فالآن راهن سيدى ملك أشور فأعطيك ألفى فرس إن استطعت أن تجعل عليها راكبين ؟

٩- فكيف ترد وجه والٍ واحد من عبيد سيدى الصغار وتتكل على مصر لأجل مركبات وفرسان .

١٠- والآن هل بدون الرب صعدت على هذه الأرض لأخربها ؟ .الرب قال لى أصعد إلى هذه الأرض واخربها .

يتعرض هذا الاصحاح للجزء التاريخى الذى يحكى محاصرة جيش ملك أشور لأورشليم فى أيام حزقيا ملك يهوذا ، وكيف أن اللّه جلّت قدرته قد حامى عن أورشليم وكسر جيش أشور بدون حرب أو ذراع بشر وخلص أورشليم من الحصار وأرسل الرب ملاكه فضرب من جيش سنحاريب ١٨٥ ألف رجل فى ليلة واحدة ..

هى اذن بحسب الظاهر جزء من تاريخ العهد القديم ، ولكن فى واقعها العميق هى هى قصة الخلاص منذ القديم ولكنها تتكرر فى الأجيال لتظل جديدة فى ذهن الناس ، إلى أن كمل الخلاص بالمسيح باقتدار على الصليب ، ففك أسر المأسورين وقتل الموت وداس الشيطان وسحقه

بطريقة ألهية تبعد عن أفكار الناس كما علت السماء عن الأرض .

✥ارسل سنحاريب رئيس جيشه المدعو ربشاقى فحاصر أورشليم بعد أن كان قد صعد على مدن يهوذا الحصينة وأخذها ... لم يكتفِ ملك أشور بما نالت يداه مدينة وراء مدينة ، ولكن كانت عينه نحو أورشليم ، أليست هى مدينة الملك العظيم ، فهو لا يرتاح باله إلا إذا هاجمها وفكر فى قلبه أن يأخذها ويقتحمها . هكذا العدو الشرير دائماً ، يظل يتقدم ، وطالما قدر على مدينة ، واخضعها يتقدم بفجوره نحو الأخرى .. وهكذا حتى مقادس اللّه يود لو ينال منها .

احذر أيها العزيز من هذا العدو ، ان انتصاره فى موقع يدفعه بطمع إلى الموقع الذى يليه وهكذا .. **فقاوموه راسخين فى الإيمان** .

✥وما أن حل ربشاقى فى تخوم أورشليم ووطئت قدماه مشارف المدينة حتى خرج إليه الياقيم بن حلقيا الناظر على بيت الملك ، وشبنه الكاتب ويوآخ بن أساف المسجل .

لم يكن خروجهم استطلاعاً للأمر ، فقد بلغ إليهم

أخبار انكسار مدن يهوذا ولم يكن الأمر تسليماً فقد عقد حزقيا العزم على الصمود والمواجهة بعد أن كان فى بداية الأمر مستضعفاً حتى أنه عرض على حزقيا عقد صلح حتى ولو دفع الجزية المطلوبة (راجع ملوك الثانى ١٨)

« وفى السنة الرابعة عشر للملك حزقيا صعد سنحاريب على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك أشور إلى لخيش يقول قد أخطأت . ارجع عنى ومهما جعلت علىَّ حملته . فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب ، فدفع حزقيا جيمع الفضة الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك .

فى ذلك الزمان قشر حزقيا ملك يهوذا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التى كانت قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك أشور » ٢مل ١٨ : ١٣ -١٦

هذا التصرف نتيجة حتمية لخوف مميت ملك على القلوب ، وضعف فى الإيمان بسبب تراكم خطايا الشعب وكونهم غير متقدسين بالكفاية حتى فى أيام الفصح الذى عمله حزقيا بعد سنين طويلة لم يعمل فيها فصح للرب ، حتى كاد الناس ينسون فرائض الفصح وشرائع

التقديس .. بل وحتى الكهنة ايضاً إلا أن بعض اللاويين كانوا متقدسين ، أكثر من الكهنة كما سجل الروح ذلك فى سفر أخبار الأيام الثانى من ٣٠ .

✥ وإذ كان الحال كذلك حاول حزقيا الملك أن يتودد لملك أشور ويسترضى وجهه أو أن يضع نفسه وشعبه تحت الجزية مهما بلغ مقدارها . وبلغ به الضعف والتذلل أمام ملك أشور حتى أرسل إليه يقول أخطأت وهكذا تنازل حزقيا ليس عن ماله الخاص فحسب بل حتى ما كان فى خزائن بيت الرب بل وحتى بلغ به الأمر أنه قشر الذهب الذى كان يغشى جدران بيت الرب !!

سؤال : وهل يرضى العدو ببعض التنازلات ؟ كلا

وهل إذا عقدنا هدنة مع العدو ألا ينقضها ؟

هل عنده أمانة وحق حتى يصونها ؟

هذه أمور تدعو للغرابة والدهشة .

لا سلام مع العالم ، ولا صلح مع العدو الشرير ، ولا أمانة فيه ولا صدق . وكلما تنازلنا صرنا فى موقف أضعف وأكثر ذلة ومهانة . فماذا إذاً سوى سلاح الإيمان الذى لا يغلب ، وقوة الله الذى نعبده ؟

✥ أن يضعف الانسان أو يؤخذ فى ذلة فتزل قدماه

وينزلق حتى إلى ضعف فى الإيمان ويطلب أن يستند على ذراع البشر أو أن يعقد صلحاً حتى مع العدو ، أو يداخل الانسان الخوف المفسد الذى يكمن وراء كل خطية .. كل هذا قد يصيب الانسان وحتى القديسين لم تخل حياتهم من بعض الضعفات أو السقطات أحياناً ، والعيب كل العيب أن يستمر الانسان هكذا ضعيفاً أو ساقطاً . ليس العيب أن تخطئ ولكن العيب هو أن نخطئ ولا نتوب فرجع .

هكذا برهن القديسون بتوبتهم ورجوعهم إلى جادة الصواب برهنوا أن الخطأ والضعف كان عارضاً فى حياتهم ولم يستمر ليملك على الحياة أو يصبغها بصبغة الشر والتهاون ، ولكن إن سقطوا كانوا للحال يقومون بأكثر قوة وأكثر عناد ولسان حالهم يقول « لا تشمتى بى يا عدوتى أنا إن سقطت أقوم » كما يقول النبى . فكانت توبتهم ورجوعهم واتكالهم على الله كقوة قيامة من الأموات .

هكذا عاد حزقيا يجمع شتات النفس ، ويلم أشلاء الإيمان المبعثرة كمن يجمع حجارة الهيكل المنهدم فى قلوب الناس وعزائمهم .

« ولما رأى حزقيا أن سنحاريب قد أتى ووجهه على محاربة أورشليم تشاور هو ورؤساه وجبابرته على طم مياه العيون التى هى خارج المدينة فساعدوه . فتجمع شعب كثير وطموا جميع الينابيع والنهر الجارى فى وسط الأرض قائلين لماذا يأتى ملوك أشور ويجدون مياها غزيرة وتشدد وبنى كل السور المنهدم . وأعلاه إلى الأبراج وسوراً آخر خارجاً ، وحصن القلعة مدينة دواد ، وعمل سلاحاً بكثرة وأتراساً ، وجعل رؤساء قتال على الشعب وجمعهم إليه إلى ساحة باب المدينة وطيب قلوبهم قائلاً تشددوا وتشجعوا لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك أشور ومن كل الجمهور الذى معه لأن معنا أكثر مما معه .

معه ذراع بشر معنا الرب الهنا ليساعدنا ويحارب حروبنا فاستند الشعب على كلام حزقيا ملك يهوذا (٢ أى : ٣٢) .

لقد طرد الخوف إلى خارج ، وتشددت سواعد الشعب بكلمة إيمان واتكال على الله ما أجمل ما سجله الروح القدس قائلاً فاستند الشعب على كلام حزقيا ، حقاً كما على صخر الدهور . وسند الإيمان ليس بعده سند !!

الأمر ليس جيشاً وعدة حرب .. بل عين الإيمان التى

ترى ما لا يرى إن الذين معنا أكثر من الذين علينا كما كان فى أيام اليشع النبى وجيش آرام هكذا عاد حزقيا الرجل البار إلى قوة الإيمان والتمسك بالله وتشدد وشدد شعبه فحصل فى الحال على معونة النعمة وسند يمين الرب الصانعة العجائب .

من جهة عناد الحرب وعمل الأسوار والمتاريس وتجهيز السلاح فقد عمله حزقيا بكثرة وبهمة عالية . وقد التف حوله كل شعبه يساعدونه فيما وضعه فى قلبه من نحو التجهيز لملاقاة العدو ، ولكن لم تكن هذه الأشياء هى متكل حزقيا .. لقد وثق فى قلبه أنه إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً سهر الحراس . هكذا فليكن فينا هذا الفكر ، أن ما نعمله من جهادات فى حروب الروح هو مجرد إظهار النية الداخلية ، وهذا يكشف مدى إخلاص النفس للهَ وإظهار أشواقها نحو الحياة الأفضل ونحو النصرة على كل هجمات العدو الشرير ، أما النصرة ذاتها فهى عطية اللّه وعمله . إذ أنه هو يقودنا بذاته فى موكب نصرته ، وهو الذى يدافع عنكم وأنتم تصمتون ، ويحارب حروبنا ويقاتل مقاتلتنا .

تعبيرات ربشاقى !!

فقال ربشاقى قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك العظيم

ملك أشور ما هو هذا الاتكال الذى اتكله . هكذا بدأ ربشاقى رئيس جيش سنحاريب ملك أشور يتكلم بكبرياء القلب ، معيراً ومستهزئاً . ينفث تهدداً وعنفاً . وهو يدعو ملك أشور الملك العظيم ، بينما ينادى حزقيا الملك بدون ألقاب امعانا فى الاستهزاء .

ثم يبدأ حرب التشكيك فى الإيمان والاتكال على اللّه ، وهذه هى خطة الشيطان فى جميع حروبه مع أولاد اللّه فى كل زمان ومكان .

ما هو هذا الاتكال ؟

هل على مصر ... مصر تعبه باطلاً ، وهى كالقصبة المرضوضة .

هل على اللّه ؟ إنما هو كلام شفتين لا ينفع فى الحرب والقتال أسلوب التحدى يستعمله الشيطان عندما يكسب موقف فى عراكه وحروبه . ولكن العبرة بالنهايات دائماً .

فقبله وقف جليات يعير صفوف اللّه الحى أربعين نهاراً يتجبر ويجدف ، ولكن ماذا كانت النهاية لقد مات موتة الخزى وقطع داود رأس جليات بسيف جليات . كان جليات يتكل على السيف والرمح وقوة الجسد ، أما داود فكان متكله هو اسم رب الجنود .

وبعد اجيال وقف الشيطان عند الصليب يعير ويجدف ويستهزئ ويقول خلص آخرين أما نفسه فلم يقدر أن يخلصها .. إن كان قد اتكل على الله فلينجه .. هو ذات الأسلوب ونفس الكلمات . وكانت النهاية أن كسر المسيح شوكة الموت وسحق الشيطان وداس الموت بموته . فالقلب الممتلئ بالإيمان والاتكال على الله ، لا يقيم وزناً لتعبيرات العدو ولا لتهديداته بل كما هو مكتوب « **قاوموه راسخين في الإيمان** » .

على أننا لأبد أن ندرك أن حروب الشياطين تهدف دائماً إلى زعزعة الثقة بالله فهو دائماً يقول « **إن كنت إبن الله فالق بنفسك** .. إلى آخره » كما كان يجرب الرب على جبل التجربة ، وزعزعة الثقة فى النصرة أيضاً لتحطيم المعنويات وتخفيض القوة الداخلية لكى يصيب الانسان بصغر النفس ويدخله دوائر اليأس .

فها هو يقول لعبيد الرب المرسلين من قبل حزقيا « **فالآن راهن سيدى ملك أشور فأعطيك ألفى فرس إن استطعت أن تجعل عليها راكبين** » فكيف ترد وجه والى واحد من عبيد سيدى الصغار ؟

هـذه خطـة المخـادع ، الـكـذاب وأبـو الكـذاب .. قـد يـزرع أفكاره وسـمـومـه هـذه وهـو يـحـاربنا حـروب الـروح ، ويحاول أن يقـنـع العـقـل أننا لا نـقـوى عـلـى شـئ حـتـى من الخطـايا الصـغـرى ، **وإلى واحد من عبيـد سيدى الصـغار** ، وأننا بلا شـك مـنكسـرين مـنهـزمـين وأن الـحـل الـوحـيد هـو أن نسـلـم لـه صـاغرين ونـخضـع لـه بلا حـروب .. يا لـه من خداع !!

ولكن قمـة التزيـف والخـداع تبلـغ حـينمـا يسـتـخـدم العدو صـورة خدام اللّه والمكملين مـشـيـئتـه ، لأنه قـادر أن يغيـر شـكلـه إلى شـكـل مـلاك نـور ، هـنـا يكـلـم ربـشـاقى رسـل حـزقيـا الملك بـكلام كـأنه كـلام الإيمان .. لكـى يقنع فـيـهـم الـضـمـير الـروحـى بصـدق كلامه وهـو كله الكذب .

« والآن هل بدون الرب صعدت إلى هذه الأرض ؟

الرب قال لى أصـعد إلى هـذه الأرض وأخربها!!

كم من حيل وطـرق حيث يسـتعمـلـها لعله ينال بغـيته ، ولكـن هل تـنـطلـى حيـلـه عـلـى الذيـن صـارت لـهـم **الحواس مدربـة على التـمـيـز الذين يـقـولـون دائمـاً « لأننا لا نجـهـل أفكاره »** .

✥فـقـال الـيـاقـيـم وشـبـنه ويـوآخ لـربشـاقـى . كـلـم عـبـيـدك بـالأرامـى لأننـا نـفـهـمـه ولا تـكـلـمنـا باليـهـودى فى مـسـامـع

الشعب الذين على السور . فقال ربشاقى هل إلى سيدك وإليك أرسلنى سيدى لكى اتكلم بهذا الكلام أليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا عذرتهم ويشربوا بولهم معكم .

كان حرص هؤلاء الرجال على مشاعر أخوتهم ، يدعو إلى العجب ، فهم قبلوا أن يسمعوا هم كلمات العدو المهينة والموجعة ولكنهم ابوا على أخوتهم أن يسمعوا هذا الكلام فيضعف قلوبهم . أنه منهج خدام المسيح بالحقيقة ، فالواحد يضع نفسه عن آخرين ، ويقول بلسان من خدم الرب باستحقاق « **نحن ضعفاء وأما أنتم فأقوياء .. أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة** » بل هو روح الذى بذل نفسه عن احبائه ، وحتى فى ساعة القبض عليه إذا كان يقيد من أجل حريتنا .. قال لهم « **دعوا هؤلاء يمضون** » .

✣ثمة أمر آخر يستدعى الذهن الروحى .. أن هؤلاء الرجال .. رسل حزقيا . كانوا فى القامة بمقياس الروح أعلى من أولئك الذين على السور .. المعتبرين أنهم من عامة الناس ، فوضع الروح فى قلب أولئك الثلاثة مسئولية .

✣لقد كان هؤلاء الرجال الثلاثة رسل حزقيا الملك ..

أصحاب مراكز مرموقة . فأحدهم كان على بيت الملك والآخر مسجل ، والثالث كاتب الملك ، وقد جعلتهم مراكزهم في مواضع المسئولية دون عامة الشعب الذين على السور هكذا وضع الروح في قلوبهم أن يحملوا نير المسئولية عن إخوتهم ، فالمراكز والقامات العالية هي حمل ونير قبل أن تكون سلطان وتعالى ..

وهكذا كل من أؤتمن على قامة في الروح أو مركز أو سلطان ، فإنه بروح المسيح يضع نفسه عن أخوته ويحمل نيرهم. **يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا . فليرضِ كل واحد قريبه للخير لأجل البنيان . لأن المسيح لم يرض ذاته بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت عليّ ،** .

✥ثم وقف ربشاقى ونادى بصوت عظيم باليهودى وقال اسمعوا كلام الملك العظيم ملك أشور . هكذا يقول الملك ، لا يخدعكم حزقيا لأنه لا يقدر أن ينقذكم ولا يجعلكم حزقيا تتكلون على الرب قائلاً انقاذاً ينقذنا الرب لا تدفع هذه المدينة إلى يد ملك أشور . لا تسمعوا لحزقيا لأنه هكذا يقول ملك أشور اعقدوا معي صلحاً واخرجوا إليّ وكلوا كل واحد من جفنته وكل واحد من تينته

واشربوا كل واحد من ماء بئره حتى آتى وآخذكم إلى أرض مثل أرضكم ارض حنطة وخمر أرض خبز وكروم لا يغركم حزقيا قائلاً الرب ينقذنا . هل انقذ آلهة الأمم كل واحد أرضه من يد ملك آشور . أين آلهه حماة وارفاد . أين آلهه سفروايم هل أنقذوا السامرة من يدى .

مَنَ مِنْ كل الهة هذه الأراضى انقذوا أرضهم من يدى حتى ينقذ الرب أورشليم من يدى .

ها كلام ربشاقى يصل إلى قمة التزوير ولِىُّ الحقائق ، أليس هذا صحيحاً كيف يخرج الحق من هؤلاء الأمم الغلف المنقادين للشياطين ؟ والعجيب أنه يقول للشعب عن حزقيا الملك البار أنه يخدع الشعب !!

كأن حزقيا هو المخادع الذى يخدع الشعب ويغره ويسوقه إلى الموت وكأن ربشاقى هو الصديق الصدوق الذى يتباكى على مصالح الشعب وحياتهم ويعدهم بالأرض التى فيها الحنطة والخمر!!

كأنه هو مخلصهم وليس هو قتالهم ؛ ياللعجب !!

إن العدو يبدو دائماً فى هذه الصورة ، وعود واغراءات كلها كاذبة وأمانى خادعة ومخادعة .

ونصائح مزخرفة بزخارف الشفقة الكلامية ، وكأنه

رحيم بهم وهو فاقد عنصر الرحمة تماماً لأنه غير الرحيم كما تدعوه الكنيسة فى صلوات السجدة يوم الخمسين . ومن عجب أنه يضع أمام الشعب ، سلسلة انتصاراته وعجز الشعوب الأخرى وعجز آلهتها عن الخلاص .

ولكن من مثلك فى الآلهة يارب من مثلك ، ليس لك شبيه فى الآلهة ولا من يصنع أعمالك . كل آلهة الأمم شياطين ، أما الرب فصنع السماوات ، والأرض هى صنع يديه ، هو قال فكانت . اسألوا الشعب وهو عابر البحر الأحمر يرتل للرب لأنه بالمجد قد تمجد ، الخيل وركاب الخيل طرحهما فى البحر ، يمينك يارب معتزة بالقوة .

ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه وليهرب من قدام وجهه كل مبغضى اسمه القدوس .

✥ فسكتوا ولم يجيبوا بكلمة . لأن أمر الملك كان قائلاً لا تجيبوه (عدد٢١) . كان أمر الملك حزقيا أن لا يجيبوا بكلمة على تغييرات العدو العاتى ، وكان أمراً ملؤه الحكمة وسداد الرأى .

✥ تأمل رئيس إيماننا ومكمله كيف صمت يوم الصليب، فلم يرد على التعيير والشتم ولا كلمات الهزء ، وحتى الدفاع عن النفس . لم يجب بكلمة حتى تعجب

الوالى ، وأمام هيرودس المخادع لم يفتح فاه ، وكملت نبوات الكتب المكتوبة عنه . « **كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه** » .

✥إن داود النبى وهو هارب من وجه ابشالوم أيضاً ، كان متذللاً أمام الله وعندما كان شمعى بن جيرا يسب داود ويرشق بالحجارة مدفوعاً من العدو الشيطان ليشمت فى داود فى يوم بليته .. لم يفتح داود فاه ورفض أن يدافع أحد عنه قائلاً دعوه ... **لعل الله ينظر إلى مذلتى فى هذا اليوم** .

✥وهل يجاوب الشيطان وهو يجدف ويعير ، ويملأ الدنيا افتراء وكذباً ، هل يجاوب إلا بالصمت والسكوت ورفع القلب لله . لعل الله ينظر ويتراءف . **جيد للرجل أن يحمل النير منذ صباه ، يجلس وحده ويصمت** ، مراثى أرميا .

✥ماذا صنع الثلاثة فتية القديسين أمام تهديدات نبوخذ نصر وافترائه حين قال لهم « **ومن هو الإله الذى يقدر أن يخلصكم من يدى** » قالوا له **لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يقدر أن ينجينا** .

✤ فى غالب الأحيان لا يجاوب العدو عن كلامه سوى بالصمت والالتجاء إلى اللّه ، **بالهدوء والسكون تخلصون** ، الموضوع إذن ليس كلمات تقال فينكسر الشيطان أو يقتنع فهو لا يغلب إلا بقوة اللّه ، **« كثيرون قاموا على كثيرون يقولون ليس له خلاص بالهه « أنت يارب مجدى رافع رأسى »** .

✤ الصمت تجاه العدو يحمل معنى عدم الدخول معه فى أخذ وعطاء ، بل إن الصمت يقطع عليه فرصة الحوار ، هو يتمنى أن ندخل معه فى حوار وأخذ ورد . فيأخذ فرص اكبر ، ولكن حكمة الآباء والقديسين كانت أن لا يجيبوه بكلمة فيستد فمه المشتكى علينا .

✤ فجاء الياقيم بن حلقيا الذى على البيت وشبنه الكاتب ويوآخ بن أساف المسجل إلى حزقيا وثيابهم ممزقة فأخبروه بكلام ربشاقى .

هكذا تصرف كل غيور على مجد اللّه ومدينة اللّه وهيكل اللّه فى كل زمان ومكان . والأمثلة كثيرة مثل نحميا ، وعزرا ، ودانيال ، وداود ، والأنبياء ، بل أن ربنا نفسه لما رآها فى حال عراها بكى عليها .

وكلما ضغطت الشدائد رجال اللّه التجأوا إليه وهم

باكين نائحين ، افترشوا الرماد ولبسوا المسوح ومزقوا ثيابهم وكانت هذه المظاهر الخارجية تحوى من الداخل اتضاعاً وتوبة وتمزيق القلب كان يستدر مراحم اللّه الذى قال بفم زكريا « **قدسوا صوماً ... نادوا باعتكاف .. ليبكِ الكهنة خدام المذبح مزقوا قلوبكم لا ثيابكم** » .

❖ هكذا يتميز بيت اللّه – بيت الصلاة عن جميع الأماكن ، إذ هو موضع مسكن مجد اللّه « **أحببت جمال بيتك وموضع مسكن مجدك** » وهكذا تسلمنا من الأولين أنهم كانوا يلتجئون إلى بيت اللّه فى الشدائد كمن يهرب إلــى مكان الملجأ ، أو كمن يدخل إلى حصن السلام والأمان . **العصفور وجد له بيتاً واليمامة عشاً .. مذابحك يارب الجنود ملكى وإلهى .. طوبى للسكان فى بيتك** ، وها سليمان يوجه النظر فى يوم تدشين الهيكل أن الطلبة المرفوعة من الهيكل أو نحو هذا البيت لا بد أن تدخل إلى مقادس العلى ، اسمْع من السماء .. **وإن سمعت فاغفر** » فهذا تقليد قديم متوارث يحوى أسراراً لا يدركها سوى الذين اختاروا أن ينطرحوا على عتبة بيت الرب .



اشعياء ٣٧

✥فلما سمع الملك حزقيا ذلك مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب هكذا تراءى رسل حزقيا أمامه فى هذه الحالة الأسيفة والمحزنة معاً فلما رآهم حزقيا الملك البار مزق ثيابه وتغطى بمسح الحزن والاتضاع ودخل بيت الرب بيت الصلاة .

✥ان صلاة المخدع شئ ، والدخول إلى بيت اللّه شئ آخر .

✥ان الشيطان وجنوده يحاول أن يشكك فى الاتكال على اللّه والخلاص بقوته والإيمان فيه ، فكيف السبيل إلى الغلبة ؟

« قاوموه راسخين فى الإيمان » لا ملجأ سوى الصلاة ولا يوجد سوى إسم الرب كبرج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع .

هكذا دخل حزقيا الملك وهو فى انكسار القلب واتضاع النفس حتى إلى التراب دخل إلى مقادس القدير بسؤال الصلاة والتوسل . القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله .. لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بنى البشر الذين ليس

عندهم خلاص .. طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه .. لقد تخلى ملك نينوى عن مجده وجلس صائماً على التراب متغطياً بمسح ، فنظر وسكب رحمته ورفع غضبه عن كل المدينة .

لقد انطرح داود أمام اللّه عندما رأى ملاك الرب يمد يده على أورشليم ليهلكها وبكى متوسلاً فقال الرب للملاك كُف يدك .. ولم يهلك المدينة .

ما أكثر اقتدار صلاة القلب المنكسر .. انها حقاً تقتدر كثيراً في فعلها .. كل ما تسألونه في الصلاة مؤمنين تنالونه .

ليتنا نستوعب هذا الدرس النافع لحياتنا ، كيف نلتجئ إلى القدير باتضاع وتذلل فننال من لدنه نعمة الخلاص من أعدائنا الروحية .

✥ وأرسل الياقيم الذى على البيت وشبنه الكاتب وشيوخ الكهنة متغطين بمسوح إلى اشعياء بن آموص النبى ، فقالوا له هكذا يقول حزقيا **هذا اليوم يوم شدة وتأديب وإهانة لأن الأجنة دنت إلى المولد ولا قدرة على الولادة لعل الرب إلهك يسمع كلام ربشاقى الذى أرسله ملك أشور سيده ليعير الاله الحى فيوبخ على الكلام الذى**

سمعه الرب الهك . فارفع صلاة لأجل البقية الموجودة .

سيظل رجال اللّه القديسون المشهود لهم أنهم أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة فى كل جيل سيظل هؤلاء سنداً للعالم بالصلاة والشفاعة . ألم يكن كافياً أن يدخل حزقيا الملك إلى بيت الرب ليرفع الصلاة هو ومن حوله ؟

هل توجد واسطة بينه وبين اللّه حتى يرسل إلى اشعياء النبى ؟ ليس هكذا يكون التفكير ، فلا يستوى عند الرب الكل فى المراتب والدرجات فللرب أخصاء ، وأحباء ، وذوى دالة ، وأنبياء ورسل وقديسين ، ولهم دالة وطلبة مقبولة ، بقدر ما كرسوا الحياة وقسوا القلب وانحازوا للّه بجملتهم وصاروا له بالكلية .. نعم لهم دالة ووسيلة والرب لا يصنع أمراً إلا ويرى عبيده الأنبياء ما لابد أن يكون كما قال عاموس النبى وإلا أصبح الكل أنبياء ورسل ومعلمين بل إن الروح القدس أقام فى الكنيسة أولاً رسلاً ثم انبياء ، ورعاه ومعلمين وباقى المواهب الكنيسة .. فلا يفتخر أحد على الحق .

إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا ، ولكنه صلى صلاة فاغلق السماء وصلى أيضاً ففتح السماء ، فهل كل من صلى أو يصلى يقتدر هكذا ؟

بـل توجد دالة قـوية للقديسين لدى اللّه ، اسـمـعه يقول **، هل أخفـى عن عبدى إبـراهيم ما أنا صـانع ،** اسـتـناداً إلى هذه الدالة والمكان التى لاشعيـاء النبى ، والتى لا تـخطـئها حاسـة الشـعب ولا الكهـنة ولا الملك حـزقيـا ، إذ أن شهـادة حـيـاة اشـعـيـاء وقداسـة سـيـرته واقتـدار صـلاتـه ونعـمـة البصيرة التى للحق كائنة فيه .. لهذا لم يجد حـزقيا سـوى أن يرسـل إلـيه اليـاقيم وشـبنه ورؤسـاء الكهنة وشـيوخـهـم لكى يرفع من أجلهم صـلاة ... يا لـعظم الصـلاة ويا لاقتدار صلاة القديسين وشـفاعتهم . أما وصـف حـزقيا للـحال التى كـانوا عليـها فـيحـتاج إلـى وقفـة تأمل عـمـيقة وهـادئة **هذا اليوم هو يوم شدة وتأديب وإهانة** . فـمن جهة الشـدة فقد ضـاق بهم الأمـر تجـاه ظلـم الظالـم وطغـيـان الطاغـى وهـا كلمات ربشـاقى الثقـيلة تحطم كل قوى النفس لولا أن رب الجنود أبقى بقية من إيمان واتكال عـلى اللّه وثقة فيه لغنى كل حـزينى النفوس .

ومن جهة أخـرى فهو يوم تأديب ، من أجـل الاحسـاس بالخطـايا والانـحـراف والزيـغـان من تحت يد الـرب ومـحـبة العالم وكسـر الوصـايا من كل جهـة . فـماذا **، تأديباً أدبنى الـرب وإلـى الموت لـم يـسـلـمـنـى ،** .. **مـن أجل ذلـك فـيكم**

كثيرون مرضى وكثيرون يرقدون .. نؤدب من الله لئلا ندان مع العالم ، وكل تأديب فى وقته الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن .. وها نحن تحت يد الرب القدير كأب ، وأى ابن لا يؤدبه أبوه .

يا له من إيمان حىٍّ وقبول وخضوع .

ومن جهة ثالثة فهو يوم إهانة ، ألا تسمع كلمات التجديف والتعيير والسب والتعالى والتهديد المميت ، ولا جواب من أحد بل سكوت كامل بدون فتح للشفتين ، لأن هكذا كان أمر الملك ألا يجاوبوه وها نفوسنا موضوعة إلى التراب قابلة الاهانة تنتظر من ينهضها وليس لنا رجاء سوى فى ذاك المقيم المسكين من التراب والرافع البائس من المزبلة !!

✣لأن الأجنة دنت إلى المولد ولا قدرة على ولادة .

ألم يقل اشعياء هذا الكلام بعينه متوسلاً إلى الله من جهه عدم القدرة على صنع الخلاص واعترافاً بخلاص الله « حبلنا . توجعنا ، ولدنا ريحاً » أى لم نصنع الخلاص ولم نفعل الصلاح ، وأقصى جهد الانسان صار كالريح أو كقبض الريح ، أو كولادة الريح .

أما حزقيا الملك فيضع أمام اللّه وأمام رجل اللّه إشعياء النبى هذه الكلمات مشبهاً نفسه وشعبه بأمرأة فاجأها مخاض الولادة وهى ضعيفة بلا قوة ولا قدرة على طلقات الولادة وآلامها فهى والحال هذه فريسة لموت محقق لو لم تتداركها مراحم اللّه وينقذها صوت اللّه الذى يكشف الغابات ويولد الأيائل ويصنع الخلاص فتولد أمم فى يوم واحد » اش ٦٦ .

✣ وحينما يتراءى الانسان أمام اللّه ويصلى بهذه الروح المتضعة والمسنحقة حاسباً نفسه بلا قوة ولا قدرة ، هنا تتدخل قوة اللّه ويد اللّه وتقيم الانسان البائس من المزبلة وترفعه من تراب الاتضاع . حقاً ليس شئ أقدر من الاتضاع على خلاص الانسان .

✣ ما أجمل أن يقول حزقيا الملك لاشعياء النبى « **لعل الرب إلهك يسمع كلام ربشاقى ..** » كان المتوقع من سياق الحديث أن يقول « **الرب الهنا** » .. ولكنه يخصه بالتبعية للرب والانتساب إليه ، كمن هو حبيب الرب ، ونبيه ، وصاحب الدالة لديه .. فهم وإن كانوا شركاء فى الإيمان ولكنهم متميزين فى المكانة والقربى . وهذا يشير إلى ما كان يتحلى به حزقيا الملك من اتضاع ، ومن جهة أخرى

يشير إلى ما يجب أن نقدمه للقديسين من اكرام . فإن حزقيا لم يستدع اشعياء – كأحد رعاياه ، أو كفرد من أفراد شعبه ، أو حتى وزير من وزرائه أو أحد معاونيه ، بل أرسل إليه رسلاً طالباً صلاته المرفوعة قائلاً . « فارفع صلاة لأجل البقية الموجودة » .

وهو إذ له هذا الإيمان في صلاة اشعياء نال نعمة ورحمة من لدن الرب واستجابة فورية للصلاة التي تقتدر كثيراً في فعلها .

٥– فجاء عبيد الملك حزقيا إلى اشعياء .

٦– فقال لهم اشعياء هكذا تقولون لسيدكم هكذا يقول الرب : لا تخف بسبب الكلام الذي سمعته الذي جدف علي به غلمان ملك أشور .

٧– هأنذا أجعل فيه روحاً . فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف في أرضه .

الرسالة الأولى التي بعث بها الرب الاله إلى حزقيا الملك بفم اشعياء النبي هي « لا تخف » وما أحوج حزقيا في ذلك الوقت إلى هذه الكلمة ... وما أحوجنا دائماً إليها ... ومشتقاتها .

ومما يطمئن النفس أن هذه الكلمة ذكرت فى الكتاب المقدس ٣٦٥ مرة ، وكأن الرب على مدار أيام السنة يقولها لكل نفس ، فى كل يوم ... أنها حقاً نعمة وعطية لا يعبر عنها .

والرب يسوع عندما وافى تلاميذه وهم معذبين من الرياح فى السفينة المضطربة والتى كادت تغرق ، قال لهم « **أنا هو لا تخافوا** » . وكلمة الرب لها اقتدار نزع الخوف . فالمعروف أن الانسان الخائف لا يطمئنه الكلام ولا تعزية الألفاظ ولا ينزع منه الخوف ألف عظة وألف كتاب . ولكن ينتزع الخوف حينما تتبدد أسباب الخوف ويحل السلام فى القلب بحلول اللّه وحضوره شخصياً ، كمثل الطفل المنزعج وخائف من هول ما يحيط به ، يكاد يقتله الخوف والهلع . ما أن يرى أبوه يهب لنجدته حتى يهرب الخوف ويحل السلام فيلتقط الطفل أنفاسه كمن استعاد الحياة . هكذا حضور اللّه للنفس المنزعجة ، وسلام المسيح الحقيقى الذى يعطيه لمضطربى القلوب وصغيرى النفوس « **سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم** » .. **ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب** » سلام اللّه مرتبط بحلوله ، السلام الذى أعطاه المسيح مرتبط بشخصه وحضوره والتلامس معه .

لا سلام للأشرار قال الهى .

الشرير يهرب ولا طارد له .. .

اما كلام التجديف الذى جدف علىّ غلمان ملك آشور ، فلا تقم له وزناً ، فهم وإن ظهروا أمامك كرجال حرب ورؤساء جيش أما قدامى فهم غلمانٌ ، أى صبيان صغار ، وكلام تجديفهم وإن كان يقع فى أذنيك كقرع الطبول مخيف ومزعج ، ولكن بالنسبة لى فالانسان كنفخة ونسمة ضعيفة **« كفوا عن الانسان الذى فى أنفه نسمة لأنه ماذا يحسب ؟ »**

✥ هأنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف فى أرضه .

روح انزعاج يدركه ، روح خوف واضطراب يبغته ، فينهار وينكسر راجعاً إلى أرضه ... هذا هو عمل اللّه .

صوت الرب يطفئ لهيب النار .

يمين الرب معتزة بالقوة .

يمين الرب حطمت العدو. **لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود** . وهناك فى أرضه أسقطه بالسيف، سيف ولديه الذين خرجا من صلبه ، وكأنه قتل بسيفه ، كمثل جليات المتجبر فى أيام داود حبيب الرب .

✥عودة إلى التجديف والتهديد . فرجع ربشاقى ووجد ملك أشور يحارب لبنة لأنه سمع أنه ارتحل عن لخيش وسمع عن ترهاقة ملك كوش قولاً قد خرج ليحاربك . فلما سمع أرسل رسلاً إلى حزقيا قائلاً . هكذا تكلمون حزقيا ملك يهوذا قائلين لا يخدعك الهك الذى أنت متوكل عليه قائلاً لا تدفع أورشليم إلى يد ملك آشور أنك قد سمعت ما فعل ملوك آشور بجميع الأراضى لتحريمها وهل تنجو أنت ؟ هل انقذ ألهة الأمم هؤلاء الذين أهلكهم آبائى جوزان وحازان ورصف وبنى عدن الذين فى تلسار أين ملك حماة وملك ارفاد وملك مدينة سفروايم وهينع وعوا .

عاد ملك أشور رغم ما أحاط به من بوادر الخطر وملامح الانكسار عاد يهدد حزقيا الملك فأرسل إليه رسائل ملؤها التجديف على الله وعدم قدرته على خلاص شعبه أو انقاذ مدينته المحبوبة أورشليم من يده . ومن جهة أخرى استشهد ملك آشور بانكسار الممالك الأخرى أمامه وسقوط ملوكها صرعى وهل الهك ينقذك من يدى ؟ سقط جبابرة ودانت شعوب قوية وهوت ممالك مرتفعة . وقد يبدو حزقيا ضعيفاً وأورشليم صغيرة ، ولكن هل

ينسى الشيطان داود الفتى الصغير كيف أهان عز جليات واسقط العاتى ؟

وأجمل كلمات داود فى المزمور ١٥١ ، **أنا كنت صغيراً بين أخوتى والحدث فى بيت أبى ..** ، ولكن هذا الصغير + قوة الله وإسم رب الجنود صار عظيماً وصنع الرب به ما لم يصنعه بالعظماء ، فمبارك اسم الرب الذى **قوته فى الضعف تكمل والذى اظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة .**

١٤- فأخذ حزقيا الرسائل من يد الرسل وقرأها ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها حزقيا أمام الرب .

١٥- وصلى حزقيا إلى الرب قائلاً .

١٦- يا رب الجنود إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض . أنت صنعت السموات والأرض .

١٧- أمل يارب أذنك واسمع . افتح يارب عينيك وانظر واسمع كل كلام سنحاريب الذى أرسله ليعير الله الحى .

١٨- حقاً يارب إن ملوك أشور قد خربوا كل الأمم وأرضهم .

١٩- ودفعوا آلهتهم إلى النار . لأنهم ليسوا آلهة بل صنعة أيدى الناس خشب وحجر . فأبادوهم .

٢٠- والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك .

انظر كيف ورثت الكنيسة هذا التقليد ، حينما تصادفها الضيقات ، أو تحدق بها فخاخ العدو ، أو يكدر العدو صفو سلامها بالتجارب ، كيف كان الآباء فى كل جيل يلجأون للمذبح يضعون عليه كل مشكلة مكتوبة ، يستودعونها يد القدير القادر على كل شئ ، وإلى هذا اليوم انظر إلى المذبح المقدس كم من مشاكل مكتوبة ، وأسماء وأسماء ، وكان الأتقياء من الكهنة يحملون أتعاب شعبهم مكتوبة ، وعند تقديم الحمل، وفى أوقات التذكارات يذكرون كل واحد باسمه ويشفعون ذلك بالصلاة والابتهال لاسيما إذا كان الأمر يختص بالكنيسة أو النفس المحاصرة بحصار التجارب وتعييرات العدو وشكوى الشيطان .

وفى جميع الحالات وعلى مدى العصور فإن هذه الطريقة الفعالة بقدر ما تكون صدق الصلوات ، على قدر ما تمجد الرب بالخلاص وأنقذ كنيسته أو النفوس الملتجئة إليه باعجاز لا يدرك .

هكذا نشر حزقيا رسائل التجديف أمام اللّه فى بيت اللّه، وكأنه يقول للرب ، افتح عينيك يا رب وانظر أمل أذنيك يارب واسمع .. وهو إذ يعترف بعجزه وضعفه فى اتضاع شديد . إذ يلتجئ إلى اللّه بهذه الصورة ، يظهر فى ذات الوقت تمسكه بإيمان بقوة اللّه وثقته التى لا تتزحزح فى خلاص الرب وذراعه القوية ولعلنا إذا رجعنا إلى كلمات صلاة حزقيا ، نجد فيها ما يكشف عما كانت عليه هذه النفس القديسة من التمسك باللّه والثقة برجاء وإيمان وأنه لم يفقد الصبر مهما بلغ به الضيق ، بل بقدر ما حاصرته الضيقة بقدر ما زاد تعلقاً بمخلص الملتجئين إليه والصارخين نحوه . فهو يضع رجاء كلياً فى الرب الاله مخلص عبيده . وهو إذ يتوسل بطلبه من أجل الخلاص يطلبه لا من أجل ذاته ولا من أجل مملكته بل لأجل مجد اللّه ورفعة اسمه القدوس بين الأمم –وهذا فى حد ذاته يجعل الصلاة في مركز القبول لدى اللّه إذ يكون الانسان فيما يصلى يطلب مجد اللّه كما علمنا المسيح يسوع ربنا أن نقول : **ليتقدس اسمك ، ليأتِ ملكوتك لتكن مشئيتك** ، . ما أجمل هذا القول : **خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك** ، .

٢١- فأرسل اشعياء بن آموص إلى حزقيا قائلاً هكذا يقول الرب إله إسرائيل الذى صليت إليه من جهة سنحاريب ملك أشور هذا هو الكلام الذى تكلم به الرب عليه . احتقرتك استهزأت بك العذراء ابنة صهيون .

استجابة الصلاة :

هكذا دخلت صلاة حزقيا إلى حضرة القدير ووجدت دالة وقبولاً ، هكذا تقتدر طلبة البار فى فعلها دائماً .

تكلم الرب مع نبيه إشعياء من جهه صلاة حزقيا ، ومن جهة ما هو مزمع أن يفعله بجيش ملك أشور ، إن الرب لا يصنع أمراً إلا ويرى عبيده الأنبياء ما لا بد أن يكون .

هكذا فليقودنا هذا الدرس إلى الالتجاء دائماً إلى القدير، ندخل مقادسه ونطرح سؤالنا قدامه ونحمل المذبح افتراء وتعييرات العدو وشكواه . كما تصلى الكنيسة «أعداء كنيستك المقدسة يا رب كما فى كل زمان أذلهم حل تعاظمهم عرفهم ضعفهم سريعاً ، أبطل سعايتهم ومشورتهم وجنونهم ونميمتهم التى يصنعونها فينا .. إلخ» وننشرها قدام الرب ، فيرى ويسمع ويكتب سفر تذكرة وفى زمن الافتقاد يصنع أكثر مما نسأل أو نفهم .

وما أجمل كلمات الرسالة التى أرسلها الرب إلى حزقيا الملك عن طريق إشعياء الأمين على أسرار الله ، كلمات عزاء وكلمات تشجيع ووعود صادقة وأمينة .

ماذا قال الرب لملك أشور وجيشه ورسله ورسائله ؟

احتقرتك استهزأت بك العذراء ابنة صهيون .

ايه أيتها المدينة المقدسة أورشليم ، حينما تكونين مُرضية لدى الرب كما العذراء العروس عند عريسها الالهى ، وهذه هى صورة الكنيسة الغالبة المنتصرة التى صار لها سلطان أن تدوس الحيات والعقارب ، وتهدم كل علو وكبرياء الشيطان . إنها تنظر إلى الشيطان العالى والمتجبر باحتقار واستهزاء ، إذ هى مرتبطة متحدة بعريسها تستطيع أن تتحدى الموت !!

✥فإن كانت ابنة صهيون صغيرة فى عينى ملك أشور، ولكن عريسها الفادى وملكها الأبدى هو المسيح الذى صار رأس الكنيسة . لذلك قيل « **نحوك أنغضت ابنة أورشليم رأسها** » . تحرك رأسها مستهزئاً بالموت ، فاضحاً سلطانه ثم ماذا تحسب كلمات تجديف ملك أشور . لقد جدَّف الموت على الحياة وتطاولت الظلمة على النور . ووقف الباطل منتصباً متعالياً على الحق . ولكن كل هذا إلى

حين وإلى زمان . يقوم الله ويتبدد جميع أعدائه . يظهر النور ويشرق فتهرب الظلمة . يتمجد الحق فينزوى الباطل ويتوارى .

✥ نحوك انفضت ابنة أورشليم رأسها . من عيرت وجدفت ؟ وعلى من عليت صوتا ؟ وقد رفعت إلى العلاء عينيك ؟ أعلى قدوس إسرائيل ؟

عن يد عبيدك عيرت السيد وقلت بكثرة مركباتى قد صعدت إلى علو الجبال عقاب لبنان . فأقطع أرزه الطويل وأفضل سروه وأدخل أقصى علوه وعر كرمله . أنا قد حفرت وشربت مياها وأنشف ببطن قدمى جميع خلجان مصر .

أسئلة مرعبة لا جواب عليها ، هل تقدر الجبلة أن تجاوب جابلها . هل يفتخر الفأس على مردده أو العصا على الذى يضرب بها . من هو هذا الانسان ؟

ولكن عندما يملأه روح الغرور والكبرياء يصير آلة فى يد الشيطان ، وهل يتكبر الشيطان ويتجبر إلى ما لا نهاية ؟ حاشا .

نعود إلى الأسئلة العجيبة التى وجهها السيد نحو ملك أشور المسكين من عيرت وعلى من جدفت ؟

هل إلى هـذا الحد أعمى الشيطـان عينيك حتى نطقت بكلمات التجديف على الاله الجالس فى تسبيحات الشاروبيم؟ الممجد والمسبح والمتعالى على الأدهار وإلى الأبد رحمته ؟

الذى تسبحه الملائكة بأصوات البركة المخدوم من ألوف ألوف وربوات ربوات القوات السمائية ؟!

وعلى من عليت صوتاً ، أعلى الساكن فى الأعالى ؟ والناظر إلى المتواضعات نعم هذه هى علة الشيطان الأولى الكبرياء البغيض . لذلك يحطم الرب تحطيماً لأن من يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله (دانيال ١٢) .

أما ما هو افتخار ملك أشور ؟ مركبات وفرسان ، وسيف ورمح ؟ اسأل فرعون مصر فيخبرك أين مركبات فرعون الثلاثية ؟ وخيار فرسانه ، أما قوة ذراع الانسان ، وساقىّ الرجل ، فاسأل جليات فيعلمك وجيوش الفلسطنين فيفهمونك درس الاتضاع .

✤ وأنشف بباطن قدمى جميع خلجان مصر . هكذا قال ملك أشور ، فليكن أنك تستطيع أن تفعل هذا ، فتنشف خلجان مصر ، ولكن هل تستطيع أن تقف أمام ينابيع الماء الحى الجارى فى وسط أورشليم ، أو مياه

شيلوه الجارية بسكوت !! ماء الراحة حيث يورد الراعى قطيعه ؟

سيظل الراعى الصالح يرعى قطيعه هناك إلى أن تتجلى الرؤيا فيظهر وهو يقتاد المفديين إلى ينابيع الماء الحى فى السماء حيث يمسح كل دمعه من عيونهم ... هذا ميراث عبيد الرب . فلا خوف من كلام المتجبر فسامع صوت تجديفه وعبارات تعييره ليس حزقيا الملك ولا رؤساءه ومشيريه بل رب الجنود نفسه ، كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت علىّ » .

✣ ألم تسمع منذ البعيد صنعته منذ الأيام القديمة صورته . الآن أتيت به . فتكون لتخريب مدن محصنة حتى تصير روابى خربة فسكانها قصار الأيدى قد ارتاعوا وخجلوا وصاروا كعشب الحقل وكالنبات الأخضر كحشيش السطوح وكالملفوج قبل نموه .

قال الرب بفم اشعياء « هأنذا خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب .. كل آلة صورت ضدك لا تنجح .. » (أش ٥٤)

فالرب لتنفيذ أوامره وتتميم أحكامه يستخدم آلات لتكميل قصده وأحكامه وها هو يقول لملك أشور ، راجع التاريخ . وافتح أذنيك وعينيك على دروس الماضى فعمل

الرب منذ الأزل ومشوراته كلها مغموضة ، وكما كان فهو كائن فإن كان ملك أشور قد صار آله فى يد القدير لدينونة شعوب وأمم ، فصار سكانها قصار الأيادى ، وصاروا كعشب السطوح الذى ييبس قبل أن يقطع . فهذا كان بسبب خطايا الأمم إذ لم يقل المجتازون بهم إن بركة الرب عليهم بل على العكس أتت عليهم الدينونة وصاروا كالعصافة التى تذريها الريح كقول المزمور فهل تفتخر الآلة على صانعها ، والعصا على الضارب بها ؟ هذا ما صنعه ملك أشور .

✤ ولكننى عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك علىّ لأن هيجانك علىّ وعجرفتك قد صعدا إلى أذنى .

أضع خزامتى فى أنفك وشكيمتى فى شفتيك وأردك فى الطريق الذى جئت فيه « إلى أين اذهب من روحك ، وإلى أين أهرب من وجهك » ، هكذا قال المرنم إذ عرفه أنه لا يستطيع أن يختفى عن العين التى تخترق أستار الظلام فعلم أن طريقه لم تخف عن القدير ، وهذا شعور الأبرار ، أما الأثمة فيظنون أن ما يعملونه فى الظلمة والخفاء فلا يراهم أحد فيتمادون فى شرهم بينما لا يوجد شئ خفى

إلا ويظهر ولا مكتوم إلا ويستعلن بحسب قول الرب هكذا أعلن الرب بفم اشعياء لملك أشور ، ولكنني عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك عليّ .. وليس هذ فقط بل لقد تمادى فى التجديف والهيجان حتى صعد إلى أقصى علو إلى أذنيّ السيد الرب . لقد تعاظمت الخطايا ، كما قيل عن سدوم أن صراخها قد كثر وخطيتهم تعاظمت وصراخها الآتى إليّ » .

❖ اضع خزامتى فى أنفك :

الخزامة توضع فى أنف ثور البقر وتربط به إلى الأرض فتذل قوته ولا يستطيع معها حراك ، ويظل وجهه إلى التراب كأن لا حول له ولا قوة .

وشكيمتى فى شفتيك :

والشكيمة توضع للحصان الجامح فيساق عنوة وتضبط حركته بإحكام . هوذا الخيل أيضاً تضع اللجم فى أفواهها لكى تطاوعنا فندير جسمها كله » يع ٣ .

هذا هو ملك أشور قدام رب الجنود السمائية ، وهكذا يحسب أنه كثور بقر ، أو حصان ، وإذ يحسبه الوحى كحيوان بقصد أن يضعه دون مرتبة البشر ، يجعل النصرة عليه أمراً ميسوراً ، إذ أن الانسان قد أعطى

سلطان عن بهائم الحقل فكم بالحرى صانع السماوات وبارئ . الكل فالرب يتعامل مع ملك أشور كما يتعامل مع حيوان . إذ قد فقد الحس الانسانى والضمير ونعمة التمييز . قال المرنم « لا تكونوا كفرس بلا فهم .. بلجام زينة يكم لئلا يدنو منك » فإن فقد الانسان حكمة معرفة أعمال اللّه، صار كبهيم . فيلزم اذن أن توضع فى أنفه خزامة وشكيمة فى فمه ليتفادى ضرره وشره .

✥ وهذه لك العلامة . تأكلون هذه السنة زريعاً وفى السنة الثانية خلفة وفى السنة الثالثة ففيها تزرعون وتحصدون وتغرسون كروماً وتأكلون أثمارها . ويعود الناجون من بيت يهوذا الباقون يتأصلون إلى أسفل ويصنعون ثمراً إلى ما فوق لأنه من أورشليم تخرج بقية وناجون من جبل صهيون . غيرة رب الجنود تصنع هذا .

ما أجمل أن يعزز الرب كلمته بآيات تابعة ، تبرهن على قوة الكلمة وصدق المواعيد . فهو إن وعد فهو أمين وعادل وصادق ، ولكن من جهة الإنسان تعوزه دائماً العلامات المحسوسة إذ هو محصور فى دائرة الحواس الجسدية لا سيما فى العهد القديم ولم يكن الرب يضنّ بهذه العلامات يوماً . فجدعون طلب آية من السماء ، مرة ومرتين بأن

يكون الطل على الخبرة وحدها ثم أن يكون الطل حول الجزة وهى باقية جافة وحدها ، واستجاب الرب فى المرتين . ويشوع طلب ، وحزقيا طلب علامة على شفائه أين ترجع الشمس عشر درجات فكان له ، وقبله موسى الكلمة فأعطى آيات فى يده ..

أما فى هذه المرة فالرب يعطى هذه العلامات دون أن يسأله احد وتأتى آية الخلاص فى هذه المرة فى البركة التى يستودعها الرب فى الزرع عاماً بعد عام فى تدرج ونمو . ففى السنة الأولى يأكلون مثل الباكورات ، وأن كانت قليلة لكن مبشرة . وفى السنة الثانية تتضاعف البركة فى الخلفة ، لأن الخلفة تكون ضعف الباكورة ، ثم إذ تدركهم السنة الثالثة ، تكون بركات لا توسع ، حيث الزرع والحصاد فيدركون ثمراً إلى مائة ضعف . ولم يقصر الروح بركات الخلاص هذه فى الزرع والحصاد وغرس الكروم وثمارها ، بل امتد بها لتشمل البقية التى يختارها الرب ويبقيها لنفسه ليعمل فيها مسرته ويمتعها ببركاته، **« ويعود الناجون من بيت يهوذا الباقون يتأصلون إلى أسفل ويصنعون ثماراً إلىٰ ما فوق لأنه من أورشليم تخرج بقية . وناجون من جبل صهيون . غيرة رب الجنود تصنع هذا »** .

الخلاص هنا تصنعه غيرة رب الجنود بقدرة عجيبة ، فى يوم الصليب ، والناجون والمفديون فى أورشليم الجديدة ، وجبل صهيون الجديد الذى تكلم عنه القديس بولس الرسول « لم تأتوا إلى جبل ملموس بالنار (جبل الشريعة فى العهد القديم) .. بل أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة اللّه الحي أورشليم السماوية .. » (عب ١٢).

وهؤلاء المفديون يتأصلون إلى أسفل ، ويضعون ثمر الروح القدس إلى ما فوق ، إلى ملء قامة المسيح ، ثلاثون وستون ومائة . وهذه هى بركات الخلاص ، كما يعملها الروح بالتدرج والنمو سنة بعد سنة فى الذين نالوا الخلاص وحسبوا أهلاً للنجاة « ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح » .

٣٣- لذلك هكذا يقول الرب عن ملك أشور . لا يدخل هذه المدينة ولا يرمى هناك سهماً ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة .

٣٤- فى الطريق الذى جاء فيه يرجع وإلى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب .

٣٥- وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى .

فإن قال الرب هكذا ، من يستطيع أن يغيّر كلمته . السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول ، لا يسقط حرف واحد ، فالخليقة كلها مخضعة للكلمة الالهية كائنة بها ، تخدم الكلمة سواء أرادت أو لم تُرِد وقد كمل هذا الوعد الالهى ، سيج الرب حول مدينته المحبوبة ، وصارت كلمته سوراً حصيناً حول أورشليم ، وصار اسمه برج حصين ركض إليه الصديقون وتمنعوا فيه ولم يجسر ملك أشور على التقدم خطوة واحدة ، ولا رمى أورشليم بسهم واحد .. وتمجدت كلمة اللّه ووعوده الصادقة وخلص الذين صرخوا إليه « **الصديقون صرخوا والرب استجاب لهم ومن جميع مخاوفهم نجاهم** » .

يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ، فإن كان الرب صنع خلاصاً هكذا . فهو صانعه اليوم وغدا وما يليه إلى الأبد يحامى عن كنيسته المقدسة من أجل نفسه ، من أجل اسمه الذى دعى عليها ، ومن أجل انها عروسه المشتراة بدمه ومن أجل داود عبدى وقد كان هذا الكلام بعد داود بأجيال .. ولكن القديسون لا يموتون وصلتهم بالكنيسة قائمة **فالهنا إله أحياء وليس إله أموات** . ومن أجلهم يحامى عن أورشليم الجديدة .. إذ هم أعضاء فى

ذات الجسد وطلبتهم مقبولة عنده وصلواتهم تقتدر كثيراً في فعلها .

٣٦- فخرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً فلما بكروا صباحاً إذا هم جميعًا جثث ميتة .

٣٧- فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى .

٣٨- وفيما هو ساجد في بيت نسروخ إلهه ضربه أدرملك وشراصر ابناه بالسيف ونجوا إلى أرض أراراط وملك أسرحدون ابنه عوضاً عنه .

هل نفطن من هذه الحادثة إلى قدرة ملاك واحد مرسل من الله ؟ تأمل أقوال الكتاب وتلذذ بها .

ملاك الرب يحوط بكل خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب مز ٣٣ .

الهي الذى أعبده أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود فلم تضرني (دا) .

الذى جعل ملائكته أرواحاً وخدامه ناراً تتقد (مز) .

أليس جميعهم أرواحاً مرسلة للخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص (عب) .

ثم تأمل أيضاً عمل الملائكة القديسين منذ بدء الخليقة إلى يوم مجئ الرب الثانى وجميع الملائكة القديسين معهم حيث يستعلن مجئيه بصوت رئيس الملائكة ميخائيل وبوق اللّه ، لتدرك أننا بقوة اللّه محروسون **وأنه يوصى ملائكته بك يحفظونك وعلى الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك** (مز ٩٠) . هكذا ضرب ملاك الرب ١٨٥ ألف رجل متسلح فى لحظة من الزمان ، فلما بكروا صباحاً ، وإذا كلهم جثث ، هكذا يدرك الموت الأشرار ويفاجئهم بغته بالمخاض للحبلى فلا ينجون ، هكذا أخذوا وهم فى غفلة النوم وظلمة العقل والبصيرة ، فمن ظلمة إلى ظلمة ، هذا هو مصير الأشرار المحتوم إذ لا نصيب لهم فى النور .

أما ملك أشور فيسرد الوحى المقدس نهايته الأسيفة هكذا كيف أنه قام عليه ولداه اللذان خرجا من صلبه وقتلاه بحد السيف . وليس أقسى على النفس من خيانة الصديق ، فكم تكون خيانة الأولاد !!

هكذا ذاق ملك أشور حرارة كأس الموت كما لم يذقه أحد فتمررت نفسه فى ساعة موته مرارة الجحود فماتت نفسه بسيف الحزن والأسف قبل أن يموت جسده بسيف ولديه،

وهكذا انقلبت الموازين به فى لحظة من الزمان ، وهكذا يكون لكل من تسول له نفسه أن يسنن لسانه متلفظاً بالتجديف على الرب الإله أو على مدينته المحبوبة أورشليم السمائية التى هى كنيسة المسيح الإله .



اشعياء ٣٨

١- فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت فجاء إليه اشعياء ابن أموص النبى وقال له هكذا يقول الرب . أوصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش .

٢- فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب .

٣- وقال . أه يارب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك وبكى حزقيا بكاءً عظيماً .

انقشعت السحابة القاتمة التى خيمت على أورشليم بظلم ملك أشور وجنوده وتنفس حزقيا وبقية أورشليم مسرورين بعمل الله وخلاصه العجيب ، شاكرين اليد القوية والذراع الرفيعة ، وهكذا كمثل اشراق الصبح بعد ليل مليئ بالأهوال صار الحال فى أورشليم وعلى الأكثر فى حياة حزقيا وبيته على أن هذا الأمر لم يدم طويلاً إذ قيل أن تلك الأيام مرض حزقيا للموت ..

وهكذا كأنها سلسلة من الأحزان ، أو أوجاع متلاحقة تحيط بالصديقين !

هل هذه هى حال القديسين جميعاً ؟

مكتوب « كثيرة هى أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب يحفظ الرب جميع عظامهم وواحدة منها لا تنكسر » .

قد تحاط حياة القديسين فعلاً بكثير من الضيقات ، ولكن إذ تتدخل يد القدير ، يتمجد الله فى الضعف أعظم مما بالقوة .. ويخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة .

ما أجمل قول الرب .. **« فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم »** أرسل الرب اشعياء النبى ، برسالة تبدو قاسية فى مظهرها وفى كلماتها وليس على اشعياء إلا أن يكون أميناً فيما يقوله الرب الإله ، وهكذا يكون النبى والكاهن المؤتمن فى كثير من الأحيان إذ عليه أن ينطق بكلمات الحق دون محاباة الوجوه ، أو قد يكون مبكتاً وموبخاً حتى للملوك وولاة ، فإن خشى وجوه الناس لم يكن عبداً للمسيح بل على قدر أمانته للكلمة ومناداته بالحق يكون الرب سنداً له حتى النهاية لم يخشَ اشعياء النبى أن يقول بفم الرب لحزقيا أوصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش .

حتى رجال الله القديسون فى العهد القديم واجهوا الموت هكذا بخوف ودموع .. إنه العدو الأخير كما يسميه

القديس بولس . الرسول أما وقد داس المسيح له المجد ، داس الموت بموته وكسر شوكته فلم يعد مخيفاً لأبناء الملكوت .. تأمل قول بطرس الرسول « **عالماً أن خلع مسكنى قريب كما أعلمنى ربنا يسوع المسيح** » وشهوة القديس بولس الرسول « **لى اشتهاء أن أنطلق** » لا وجه للشبه أو المقارنة بين ما كان قديماً وبين ما أنعم به الرب علينا فى عهد النعمة . بل والأكثر عجباً أنه ظل فى أمانته وجرأته دون محاباة الوجوه ودون خوف من إنسان حتى أيام منسى الملك . إذ صار اشعياء النبى شيخاً متقدماً فى الأيام من جهة مظهره ولكنه ظل صلباً لا يلين ، شجاعاً لا يخاف الموت حتى نشره منسى الملك بمنشار الخشب ... فمات اشعياء ولكن وإن مات فهو يتكلم بعد .

ملجأ الصلاة مرة أخرى :

وهكذا إذ توالت الضيقات فى حياة هذا الملك البار ظهرت هذه الفضيلة التى أزرته مدى الحياة ، فضيلة الصلاة واختبار اقتدارها . وهكذا كانت حياة الآباء القديسين فى كل جيل . صلاة واتضاع .

✥وجه حزقيا الملك وجهه للحائط وبكى بكاء عظيماً ، باتضاع وانكسار قلب . **والقلب المنكسر لا يرذله الله** ، إن

القديس يوحنا الدرجي يقول « يستحيل أن يترك اللهَ قلباً منسحقاً بدون عزاءٍ » .

بين القديم والجديد :

فى العهد القديم – عهد الجسد والحرف – كان كل شئ محصوراً في دائرة المادة والحس . إذ كان الانسان قد سقط من عالم الروح بسبب المخالفة ، فلما ظهر صلاح اللّه وحبه الحانى ، خلصنا ونقلنا إلى نعمة البنوة فصرنا نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف .

فبركات العهد القديم هى بركة الحقل والمعجن وكثرة الأغنام والبقر ، فبركات العهد القديم هى طول العمر وكثرة الأيام على الأرض ، ووفرة البنين ، وبركات الحقول والزرع والبقر والغنم وكل ثروة الأرض وغناها . وكذلك اللعنات انحصرت فى ضرب الجسد . فجاءت عكس البركات الزمنية تماماً ، فى أمراض وسيف الأعداء ولعنة الزرع والضرع . أما فى العهد الجديد ، **إذ ولدنا ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى** . صارت البركات كلها تختص بما هو أبدى ما لا يزول ولا يفنى .

✣ « إذ ليس من يمدحه الناس هو المذكى بل الذى **مدحه من اللّه** » .

لذلك إذ رأى حزقـيا الملك أيامـه تنقرض هكذا سـريعاً ، اضـطربت نـفسه . إذ أن طول الأيام كـان تعبيـراً عن رضـى الرب وانعـامه عـلى النفس ، فـبكى مـصـلياً موجـهاً وجـهه نحـو الحـائـط ذاكـراً أمام الـرب كـيف عـاش بالاسـتـقـامـة صـانعاً مـا يرضـى . ولـكن إذ ننـظر بعـين الرسول بـولس الذى يقـول « لى اشـتـهـاء أن أنطـلق وأكـون مع المسـيح ذاك أفضـل جداً » نـدرك بالـحـق أن نشـكر الـلّه الآب الـذى أهلـنـا لشـركة مـيراث الـقديسـين فى الـسـماوات الـذى أنقذنـا من سلطان الظلـمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبتـه .

أما أن يذكـر حزقيا حياته التى عاشـهـا فى خوف اللّه ، فهذا أمـر طـبيعى . إذ أنه فى لـحظات الموت يتـوارد أمام نظر الانسـان شـريط الـحياة ومشـوارهـا عابراً أمام عين الانسان فى لـحظة من الـزمان ، كل ما عاشـه الانسـان وكل مـا عمله خيراً أم شـراً يصير حاضـراً أمامه « أعمالهم تتبعهم » .

مـا أرهـب هـذه الـلحظـات ، ومـغبوط هـو الانسـان الـذى يكون قد اكتنز لنفسه أسـاسـاً حسـنـاً من الأعمال الصـالحة فى الإيمان .. أنها تتقدمه أمـام الـلّه ليجد بها دالة ورحمة فى ذلك الـيوم .

هـكذا شـفـعت الأعمـال فى حزقيا فى ساعة ضيقة نفسـه، وهـكـذا شـفـعت فى طابـيثـا إذ وقفـت الأرامل يبكـينهـا لدى

القديس بطرس الرسول ويرينه أقمصة هى أعمال يديها التى صنعتها رحمة بالمساكين ، وهكذا تقف الأعمال الصالحة وأعمال الرحمة تفتخر على الحكم فى يوم الدين . تأمل كلمات الصلاة التى نطق بها حزقيا . كيف سار أمام اللّه ١- بالأمانة (الإيمان) . ٢- وقلب مستقيم .

٣- فعل الحسن فى عينيك (وليس ما يستحسنه الناس) فإيمان حى ، وقلب ثابت متكل على اللّه ، وترجمة صادقة للإيمان بالأفعال الحسنة التى هى أعمال الرحمة وحفظ وصايا اللّه . أنها حياة متكاملة لا غنى للواحدة عن الأخرى . لأن الإيمان بدون أعمال هو ميت فى ذاته . كما يقول يعقوب الرسول .

✣ فصار قول الرب إلى إشعياء قائلاً اذهب وقل لحزقيا . هكذا يقول الرب اله داود أبيك . قد سمعت صلاتك قد رأيت دموعك هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة . ومن يد ملك أشور أنقذك وهذه المدينة . وأحامى عن هذه المدينة وهذه لك العلامة من قبل الرب . على أن الرب يفعل هذا الأمر الذى تكلم به . هأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات أحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء . فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها .

إيه أيتها الصلاة – كم أنت مقتدرة فى فعلك ، إذا صدرت عن إنسان بار وقديس ، وما أحلى مراحم اللّه يسكبها من العلاء على محبى اسمه .

فالصلاة فى اقتدارها وفعلها السريع حركت السماء، فأنفذت إلى النبى المؤتمن أشعياء أمراً آخر ، أن قم ارجع إلى حزقيا ببشارة الفرح عوض الدموع ، وكلمات الرجاء بالحياة والخلاص من الموت . **وما أجمل أقدام المبشرين بالخيرات المبشرين بالسلام** . وكأن حزقيا الملك قد ذاق في الحال القيامة من الأموات . أو قل عربونها . إذ كان بعد فى عهد الظلال والرموز . وهكذا تجئ صلوات الذين نالوا قبل الأزمنة – عربون الخلاص ونعمة الحياة من الموت – والتى تصليها الكنيسة المقدسة فى ليلة سبت الفرح في كل عام. قال الرب لإشعياء اذهب وقل لحزقيا هكذا يقول الرب اله داود أبيك – اله الأمانة والحق ، إله مراحم داود الصادقة ، اله القوة والاقتدار اله النعمة والخلاص – قد سمعت صلاتك قد رأيت دموعك . قال الرب لموسى قديماً وهو يكلمه من وسط العليقة **« قد رأيت عياناً مذلة شعبى الذين في مصر .. سمعت أنينهم »** .

لقد صارت آلامنا محسوسة عنده ، ودموعنا دخلت إلى زق القدير ، **« جعل دموعى فى زق عندك »** .

قد سمعت صلاتك ، رأيت دموعك .. كم من صلوات تتلى ، وكم من دموع تذرف ولكن ما نصيب هذه الصلوات وهذه الدموع ؟ هل تدخل إلى حضرة القدير وتجد دالة واستجابة ؟

يا ليتنا فى كل مرة نصلى ، ونطرح تذللنا أمام اللّه ، نسمع هذا الصوت الداخلى يقول **سمعت صلاتك ، رأيت دموعك** .. قال الملاك لكرنيليوس وهو بعد وثنى ولكنه كان تقياً خائف اللّه رحيماً صانع صدقات . قال له الملاك **« صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً »** .

إن عدم الاستجابة يرجع فى الغالب إلى حالتنا الداخلية ، وقلبنا المنقسم وضعف إيماننا .. قال أحد القديسين إن أردت أن تعرف هل قبلت صلاتك أم لا اسأل قلبك لأنه مكتوب يعطيك الرب بحسب قلبك . فالأمانة والقلب المستقيم والاحسان قدام عينى اللّه كانت هذه الملامح الرئيسية فى حياة حزقيا ومن هنا كانت الصلاة مقتدرة وذات قوة عظيمة

✥ اضافة ١٥ سنة :

لقد حسب فى القديم أن هذا الاحسان فائق ولطف كثير من عند اللّه نحو هذا الرجل البار حزقيا الملك ،

والأمر بالفعل هكذا . لقد أضاف الرب إلى عمر حزقيا الأرضى الزمنى مدة ١٥ سنة من الزمان . فكم وكم يكون الحال إذ أعطانا الابن الأزلى ذاته متحداً بجسدنا صائراً فى شبه الناس آخذاً شكل العبد ، لقد أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له صار الكلمة جسداً ، **لنصير نحن بر اللّه فيه .** أخذ بشريتنا، لنصير فى نعمة البنوة التى له . لقد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة التى بها **صرنا شركاء الطبيعة الالهية** .. فلا ١٥ سنة ولا آلاف السنين بل صار لنا أن نكون فيه وله وبه إلى أبد الأبدين وإلى دهر الداهرين .. فأى شكر يجب أن نقدمه إلى اللّه . فإن كان حزقيا قد صار فى فرح وشكر لمعروف اللّه إذ أضاف إلى أيامه ١٥ سنة ، فماذا نقدم نحن إذا أعطانا اللّه ذاته **« ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب »** .. **« يعطيكم السيد نفسه آية »** .. **« يولد لنا ولد ونعطى ابناً »** .. فشكراً للّه على عطيته التى لا يعبر عنها .

فنحن صار لنا حياة أبدية بالإيمان باسمه .

✥ علامة صدق الوعد :

أن يرجع ظل الشمس عشر درجات ، فهذا أمر فائق أكثر من اعجازى ، فمن يستطيع أن يتحكم فى الشمس ؟

أو يغيّر مسارها سوى صانعها ، ضابط الكل الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها .

لقد استجاب الرب فى القديم طلبة يشوع بن نون ، عندما كان يحارب حروب الرب ، وقال **يا شمس دومى على جبعون ويا قمر على وادى ايلون** فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه .. توقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل . ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان . والآن فإن الرب الإله الكائن منذ البدء وإلى الأبد يظهر آيات وعجائب لتثبيت مواعيده لعبيده وخائفيه فى كل زمان ومكان فليس بالشمس فقط **بل السماء والأرض تزولان ولكن كلمته لا تزول** .

٩- كتابه لحزقيا ملك يهوذا إذ مرض وشفى من مرضه. أنا قلت فى عز أيامى أذهب إلى أبواب الهاوية . قد أعدمت بقية سنى . لقد كان ثابتاً فى ضمير الانسان ومكشوفاً لدى الأبرار أن النفوس جميعها إذ هى واقفة فى قبضة روح الظلمة رئيس هذا العالم كأجرة للمخالفة والسقوط . فهى فى حال خروجها من الجسد تذهب مقيدة إلى الجحيم فى سجون ظلمة وظلام البعد عن اللّه ، وهذا فى حد ذاته أمر مخيف . لقد صنع المسيح بنا عجباً ،

إذ نزل إلى الجحيم من قبل صلبه ، نزل إلى أقسام الأرض السفلى ، وكسر جبروت الموت وهدم حصونه وأخرج الأسرى . سبى سبياً وأعطى الناس كرامات . ورد آدم وبنيه إلى الفردوس مرة أخرى . فأى شكر يجب علينا أن نقدمه للذى فدى نفوسنا من وهدة الهلاك ؟

١١- قلت لا أرى الرب . الرب فى أرض الأحياء . لا أنظر إنساناً بعد مع سكان الفانية . أما هناك فى الظلمة فالانفصال والبعد والقطيعة تعذب النفوس البارة التى تحب عشرة الله ، إذ تنقضى أيام الانسان ، تذهب هكذا سريعاً ... **ما هى حياتكم أنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل** .. حقاً كخيال يتمشى الانسان على الأرض . هكذا شعر حزقيا إذ وقفت قدميه على حافة النهاية ، فلا أيام ولا سنين بل أن نهاية كل شئ قد أتت ، ومع الاعتراف بزوال الأرض دعاها حزقيا الملك « الفانية» وهذا ينقل الذهن إلى المدينة السماوية **التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها هو الله** . حيث مسكن الله مع الناس ، والميراث الذى لا يفنى .

١٢- مسكنى قد انقلع وانتقل عنى كخيمة الراعى ، لففت كالحائك حياتى من النول يقطعنى . النهار والليل

تفنيني . هذا الأحساس النسكى والتعبيرات الروحية بالنسبة للحياة فى الجسد صار منهجاً لجميع الآباء والرسل القديسين ، فالقديس بطرس الرسول يقول «عالماً أن خلع مسكني قريب كما أعملنى ربنا يسوع المسيح» .

القديس بولس الرسول أيضاً يقول «لأنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا بناء في السماء ..» (كو ٥) طالما نحن فى الجسد فنحن متغربون عن الرب ، الجسد خيمة ضعيفة ما أسرع ما تنقلع وتطوى لتحمل ، هكذا عاش العبرانى الأول - ابراهيم أبونا متغرباً ساكناً فى خيام ناظراً إلى الوطن الحقيقى .

يضيف حزقيا الملك إلى كلمتى «مسكن» ، خيمة أن حياته على الأرض أشبه بخيط نسيج متصلة أيامه ، فإن انقطع الخيط انتهت الأيام .. وهو تشبيه دقيق يكشف ضعف حياة الجسد ومحدوديتها مهما طالت .

إن التأمل فى هذه المعانى يحفظ الانسان من أمراض التعلق بالعالم ومحبة العالم وخديعة الشيطان فى وسع الأمل فى حياة الأرض مثل الرجل الذى أخصبت كورته .. فإن النهار والليل تفنينى .. مثل لفات النول وهكذا ينطوى الزمن ، النهار والليل يوم بعد يوم ، يفنى زمن الغربة وينقضى .

هناك خديعة يسقط فيها البعض حين يقال أن الانسان من سنة إلى سنة يكبر فى العمر ، والواقع أن السنوات التى تعبر بالانسان تقترب به إلى النهاية ، فالعمر يقصر كل ما مر الليل والنهار ، فكلها أيام معدودة ، فلنطلب إلى الرب قائلين نبه عقولنا وأيقظ قلوبنا من نوم الغفلة وتسويف العمر باطلاً .

١٣- صرخت إلى الصباح . كالأسد هكذا يهشم جميع عظامى . النهار والليل تفنينى .

١٤- كسنونة مزقزقة هكذا أصيح أهدر كحمامة قد ضعفت عيناى ناظرة إلى العلاء . يارب قد تضايقت . كن لى ضامناً .

ما أقسى الزمن ، ما أسرعه ، ومسكين الانسان الواقع تحت نير الزمن ووطأته . فالزمن يدور ، لا يتوقف وفى دورانه يتغيّر كل شئ ... كل ما هو خاضع للزمن متغير بالضرورة ، فالطفل يصير شيخاً ، والغنى لا يدوم ، وصحة الجسد تتدهور سريعاً .

ولكن طوبى للإنسان الذى يتحد بغير الزمنى . غير المتغيّر ، فإنه يعيش بعيداً عن الخوف ، بعيداً عن سطوة الزمن حتى وإن ماتت أجسادنا فأرواحنا لا تموت .

لذلك يصرخ حزقيا بروح الإيمان قائلاً « كن لى ضامناً » .. لا ضمان إلا فيه ولا طمأنينة إلا بين ذراعيه . الموت يأتى كالأسد يهشم العظام ، والانسان يصير كطائر صغير عادم القوة إلى أين يذهب ؟

يهرب إلى اللّه يلتمس حصناً وملجأ وعوناً فى حينه . وهو إذ نظر إلى حيث يأتى العون طلب بسؤال الصلاة « كن لى ضامناً » إذ كانت نفسه قد تضايقت جداً .

١٥- بماذا أتكلم فإنه قال لى وهو قد فعل أتمشى متمهلاً كل سنى من أجل مرارة نفسى .

١٦- أيها السيد بهذه يحيون وبها كل حياة روحى فتشفينى وتحيينى .

١٧- هوذا للسلامة قد تحولت لى المرارة . وأنت تعلقت بنفسى من وهدة الهلاك فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياى .

لقد حول الرب المرارة إلى سلامة ، والموت ابتلع من الحياة ، وها حزقيا الملك يعبر عن ذلك بقوله « **أنت تعلقت بنفسى من وهدة الهلاك** » وهذا هو تماماً العمل الخلاصى العظيم الذى صنعه الرب بنا إذ نزل إلى الجحيم من قبل

الصليب ، أو كما قال الرسول نزل إلى أقسام الأرض السفلى . أو كما عبّر بطرس الرسول ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن ، وهذا عينه ما كتبه الروح بفم المرنم « باركى يا نفسى الرب .. الذى يفدى من الحفرة حياتك » .

فالرب يسوع إذ كنا منطرحين فى وهدة الهلاك وسجن الجحيم ، نزل إلينا بقوته وأصعدنا إلى الحياة وأعاد أدم وبنيه إلى الفردوس . على أن الموت . هو موت الخطية ، أجرة الخطية . فالحياة تكون فى غفران الخطايا .. « فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياى » (عدد ١٧) .

حقاً قال النبى « كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا » « خطاياكم لا أعود أذكرها .. أطرحها فى بحر النسيان » حين شفى ربنا يسوع الرجل المفلوج فى كفر ناحوم قال له مغفورة لك خطاياك – فشفى فى الحال . وحين أنهض مريض بيت حسدا الذى كان له ٣٨ سنة ، قال له « ها أنت قد برئت فلا تعود تخطئ لئلا يكون لك شئ أشر » (يو ٥) .

فالخطية هى أصل الداء ، التى جرّت الموت ، بالخطية صار الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، وبالمسيح الحياة ، وببره صار لنا الحياة بدمه لمغفرة

الخطايا ، فالحياة أظهرت فيه . والشفاء حصل لأنه هو حمل أسقامنا وحمل خطايانا على الخشبة .

١٨- لأن الهاوية لا تحمدك . الموت لا يسبحك . لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك .

١٩- الحى الحى هو يحمدك كما أنا اليوم . الآب يعرف البنين حقك .

٢٠- الرب لخلاصى . فنعزف بأوتار كل أيام حياتنا فى بيت الرب .

إن حزقيا يضع هنا هدف الحياة « الحمد والتسبيح » ، وكما قيل « **هذا الشعب جبلته لنفسى يحدث بتسبيحى** » ... فهو إن مات فإنه « **ليس فى الجحيم من يشكر** » وإن شفى وعاش فهو يحيا لمجد اللّه وحمده ولكى يكرز للبنين ويعرفهم حقوق الرب وأعماله .. ما أجملها حياة وما أعظمه هدف . لقد صارت حياة حزقيا عزف بأوتار الفرح كل أيام الحياة ، ولكن ليس فرح العالم وأغانيه ، بل فرح فى بيت الرب ، وشكر للذى أقامه من الموت فكل من حصل على قوة القيامة ، صار مغروساً فى بيت التسبيح يقدم الحمد والشكر وذبيحة التسبيح .

٢١- وكان اشعياء قد قال ليأخذوا قرص تين

ويضمدوه على الدبل فيبرأ وحزقيا قال ما هى العلامة إنى أصعد إلى بيت الرب .

وهكذا بـدا أن شغله الشاغل هو الصعود إلى بيت الرب ، وهذه هى أول أمنية له إذا تعافى ، هذه هى شهوته الأولى وعلامة شفاء نفسه ومكان راحته ...

وهكذا كانت أشواق القديسين إذ كانوا فى حال خطر الموت تتجه نحو بيت الرب ومذبحه . ويكفى أن تتأمل كلمات يونان النبى فى صلاته وهو فى جوف الحوت « ولكنى أعود أنظر هيكل قدسك » (يونان ٢) .



اشـــعياء ٣٩

١ – فى ذلك الزمان أرسل مرودخ بلادان بن بلادان ملك بابل رسائل وهدية إلى حزقيا لأنه سمع أنه مرض ثم صح .

٢ – ففرح بهم حزقيا وأراهم بيت ذخائره الفضة والذهب والأطياب والزيت الطيب وكل بيت أسلحته وكل ما وجد فى خزائنه لم يكن شئ لم يرهم إياه حزقيا فى بيته وفى كل ملكه .

كانت حياة الآباء دائماً محفوفة بالخطر من جهة الجهادات والحروب الروحية ، وهكذا عاشوا فى حرص وافراز وصحو كل أيام الحياة ، على أن حياتهم لم تخل من ضعفات أو سقطات ، وقد كان العدو فى هجومه يستعمل كل حيلة ، تارة بالعنف وتارة بالتودد ، مرة باليمين ومرة باليسار لعله ينال شئياً . فداود الملك البار ، إذ لم يستطع أن ينفذ إليه فى وقت الشدة اصطاده فى لحظات الراحة . وشمشون لم يستطع الشيطان أن يقاوم قوته فى حروب المواجهة ، توارى خلف إغراء دليلة وأسقطه . وكم من قديسين طعنوا بسهام بحيل العدو!!!

وها حزقيا رجل الإيمان والصلاة المقتدرة ، الذى أضاف الرب إلى عمره ١٥ سنة وضرب ملاك الرب ١٨٥ ألف من جيش ملك أشور وصنع الرب خلاصه العجيب

فى أيامه ولسبب صلاته واتضاعه ، ها إن العدو يقترب إليه فى شكل الصديق الصدوق ، شكل الحب والمودة شكل المجاملة والهدايا .. ما أخطره سلاح !!

والوحى يقول « **ففرح بهم حزقيا** » !!

وهو إذ فرح فتح لهم قلبه بدون تحفظ ، وأطلعهم على أسراره بيت ذخائره الفضة والذهب .

الأطياب والزيت الطيب .

بيت أسلحته . وكل ما وجد فى خزائنه . كمثل ما فتح شمشون قلبه وأخبر دليلة بسره ، سر تكريسه ونذره هذا الأمر الروحى التعبدى ، وهذا النذر القلبى الداخلى ... يا للحسرة !! ماذا أراهم حزقيا !!

ماذا يكون الذهب والفضة فى العهد القديم سوى غنى مواهب الروح فى العهد الجديد الذى قال « **لا فضة لى ولا ذهب** » كان يملك قوة شفاء الأعرج عوض الذهب الفانى!! وماذا تكون الأطياب والزيت الطيب فى القديم .. سوى رائحة القداسة وسر الروح فى أولاد اللّه فى العهد الجديد .. المسحة التى لنا من القدوس . وماذا يكون بيت الأسلحة سوى سلاح اللّه الكامل تتحصن به النفس ضد مكائد ابليس لأن أسلحة **الأسلحة محاربتنا قادرة باللّه على هدم حصون!!**

ماذا لو أطلع العدو على هذه الأسرار ؟

سر القديسين الذين كانوا بحرص يخفون فضائلهم بل كانوا يتفننون فى ذلك حتى إن أحد القديسين كان إذا عرف أن إحدى فضائله انفضح أمرها كان يتركها ليمارس تداريبه على غيرها من الفضائل فكانوا يلبسون ثوب المسكنة والاتضاع ليخفوا من تحته كنوز النعمة والمواهب .

✥ إن العدو الشرير حقود يحسد كل ذى نعمة ولا يطيق أن يرى انساناً فى التنعم وهو محروم من عشرة اللّه ، ويتمنى زوال النعمة ويخطط لذلك .. إنه من البدء كان قتالاً للناس .

✥ تأمل وصايا الرب من نحو فضائل الصوم والصلاة وعمل الرحمة كيف يوصينا أن نعمل فى الخفاء لئلا ينظرنا الناس .. ويحذر من المظهرية والرياء والتباهى بالفضائل مثل الفريسيين .. هذه هى وصايا المسيح للخلاص .

٣- فجاء اشعياء النبى إلى الملك حزقيا وقال له ماذا قال هؤلاء الرجال ومن أين جاءوا إليك . فقال حزقيا جاءوا إلى من أرض بعيدة من بابل .

٤- فقال ماذا رأوا فى بيتك . فقال حزقيا رأوا كل ما فى بيتى . ليس فى خزائنى شئ لم أرهم اياه .

٥- فقال اشعياء لحزقيا اسمع قول رب الجنود . هوذا تأتى أيام يحمل فيها كل ما فى بيتك وما خزنه آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل لا يترك شئ يقول الرب . توجد طريق تبدو للإنسان مستقيمة وفى عاقبتها طرق الموت .

ما أكثر الأعمال التى نخالها صالحة ، ونتسرع فى فعلها .. ثم نكتشف أنها غير مرضية للّه ، بل أنها كثيراً ما جلبت علينا أحزاناً كنا فى غنى عنها . هنا يبدو الارشاد الروحى ضرورة للسائرين فى طريق الحياة الأبدية مهما كان لهم من شأن أو مركز . وها حزقيا ملك يهوذا ، وهو رجل بار وقديس ، يتورط فى هذا الفعل ، وها اشعياء النبى مرسل إليه من قبل الرب يحمل قضاء كلمة الرب ويكشف عوار التدبير الذى جلب على الملك ومملكته أحزاناً فيما بعد . ولكن ترى ماذا أصاب حزقيا حتى جعله يفعل هذا الفعل فيكشف أسراره أمام رسل بابل ؟ لعله أراد أن يفتخر أمامهم بما يملك وما فى خزائنه . هذا افتخار ردئ . هل تذكر حين أغوى داود النبى والملك ، ليعد الشعب ؟ إنها مدعاة للكبرياء البغيض ، واستعراض للقوة كأنها منا ، لقد فطن الرب رسله الأطهار وحصنهم ضد هذا الأمر ، فهم حينما شفوا الأعرج لم يتكلوا لا على

فضة ولا ذهب ، ولا على قوة وتقوى وشهدوا أمام الجميع ، لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا جعلنا هذا يمشى ؛ والرسل بولس وسيلا حينما اندهش الناس من آية الشفاء وهموا أن يذبحوا لهم الذبائح كالآلهة مزقا ثيابهما وكفوهم بالجهد عن هذا العمل فلم يقبلوا الكرامة ، وهكذا عاشت الكنيسة وعاش قديسوها إلى هذا اليوم . هكذا سأل اشعياء عن هؤلاء الرجال ، **من أين أتوا، وماذا رأوا ؟**

وأجاب حزقيا فى بساطة إذ لم يكن يدرك أبعاد الأمر الذى صنعه .

عينا الرب تجولان تطلعان على الخفايا ، يرسل أنبياءه يبكت ويصحح المسار لقد أرسل الرب ناثان النبى لداود ليكشف خطأه ظنها داود قد اختفت حين قتل أوريا الحثى وتزوج امرأته بعد أن أخطأ إلى الرب واحتقر وصاياه وحين كشف الرب الأمر ، رد داود الملك إلى صوابه فصار يبلل فراشه بدموع التوبة صارخاً إلى الرب اغسلنى كثيراً من إثمى .

وهكذا كان يفعل الرب دائماً ، فمن يسمع ويتضع ، يرحم، ومن يرفض ينال أجرة خطاياه وذنوبه . وجواب حزقيا الملك جاء صريحاً أنهم رأوا كل ما فى بيته ، **ليس فى خزائنى شئ لم أرهم إياه .**

لم يبق شيئاً يحتفظ به من الأسرار !!

فقال إشعياء لحزقيا اسمع قول رب الجنود هوذا تأتى **أيام يحمل فيها كل ما فى بيتك وما خزنه آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل .**

كمثل لص خبيث إذا أطلع على كنوز إنسان كان يخبئها ، فإنه لا يرتاح إلا إذا استولى عليها وسرقها ، وهكذا الشيطان عدو الخير حتى ما خزنه الآباء ، الذى هو الميراث الغالى من تعب وعرق وجهد كثير ، الذى قد تؤتمن عليه النفس ، هذا أيضاً تأتى عليه يد الغازى فيضيع ، فليس فقط ما تتحصل عليه النفس بجهادها بل أيضاً ما ورثته من غنى الآباء وكنوزهم .. تفقد جميعها فالشيطان لا يبقى على شئ .

✥ من الدروس التى يمكن الاستفادة بها ، زوال المجد الدنيوى وعدم بقائه . فملوك الأرض اليوم قد يكونوا مخلوعين غداً ، وأصحاب القوة والجاه والسلطان والغنى والكنوز والخزائن والأسلحة ، هذه الأمور كلها إلى زوال فيا ليتنا لا نضع ثقتنا أو اتكالنا على أمر من هذه الأمور .

✥ ثمة أمر آخر جدير بالاعتبار ، أن العالم وأهل العالم لا يبقون على عهد ولا يحفظون دوام الود ، فأصدقاء اليوم هم أعداء الغد . وهذا ليس غريباً مستغرباً من أهل هذا

العالم . فاليوم رسل بابل يحملون إلى حزقيا رسائل وهدية وغداً هم يحملون ثروة أورشليم وينهبون خزائنها ويحملون أولادها للسبى . فلا تأتمن صديقاً ولا تثق بصاحب كما يقول سفر الأمثال ، بل التصق بذاك الذى هو أقرب من الصديق والصق من الأخ .

✣ ومن بنيك الذين يخرجون منك الذين تلدهم يأخذون فيكونون خصياناً فى قصر ملك بابل . غاية الشيطان هى إخضاع النفوس واقتناصها لإرداته ، وسيادته عليها بنير عبودية قاس . من يفعل الخطية هو عبد للخطية ، فهو يسبى النفوس لتصير فى حوزته مستعبدة له ، وعلى مستوى الروح يفهم هذا الكلام . ولا سبيل إلى حرية أوخلاص إلا بالمسيح **« أن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً »** .

✣ فقال حزقيا لإشعياء جيد هو قول الرب الذى تكلمت به .

القديسون يجدون فى أحكام الرب كل الحق وكل الصدق وكل العدل حتى ولو كان القضاء من قبل الرب عليهم شخصياً . ولكنهم يعترفون دائماً قائلين **« عادلة هى أحكامك يا ملك القديسين »** فعالى الكاهن حين سمع حكم قضاء عليه وعلى بنيته وعلى بنيه ، قال فى تسليم

كامل .. هو الرب وما يحسن فى عينه إياه يصنع ، وها حزقيا يقول لإشعياء النبى جيد هو قول الرب .

ما أجمل أن يخضع الانسان مسلماً لأحكام اللّه ويرى فيها ما رأى القديسون . وإذ تدين هذه الأحكام أعمالنا وتصرفاتنا غير المنضبطة فحين نقبلها بتسليم وخضوع فإن هذا التصرف يمجد اللّه ويقود الكثيرين إلى التوبة .

✥ **وقال أنه يكون سلام وأمان فى أيامى** . إذ أرضى الرب فى كل أيامه فإن الرب أعفاه من أن يعاين إنكسار مملكته وسبى شعبها وخيار شبانها وسلب كل غنيمتها . وقد كمل كل هذا حين امتلأت كأس غضب اللّه تمادى الشعب والملوك والكهنة معاً فى البعد عن اللّه وترك شريعة قدوس إسرائيل فجاء وقت العقاب وحصاد كل أفعال الشر فأحكام الرب عجيبة حقاً ، وكأس ماء بارد لا يضيع أجره ، فهو يكرم الذين يكرمونه والذين يحتقرونه يصغرون .

فإن كان حزقيا قد اتخذ فى ذله وصنع ما صنع مع رسل بابل إلا أن رصيده من حياة الروح والإيمان والثقة والصلاة يشفع فيه أمام القدير لذلك لم يسمح له الرب أن يعاين الانكسار بل حفظه من هذا فشكر الرب بقوله أنه يكون سلام وأمان فى أيامى .

يطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج

☎ ٥٩٦٩٨٨٨

المراسلات ص.ب ، ١٧ الابراهيمية – الاسكندرية

